مجلة
روايات أحلام

# الخائن

www.elromancia.com

مرمورية

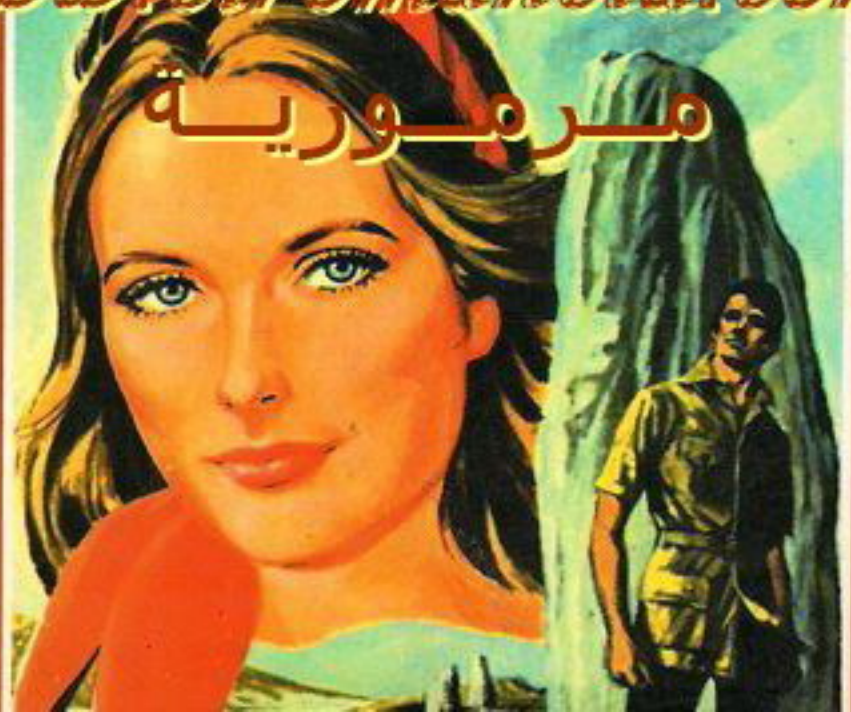

# مجلة روايات أحلام

## الخائن

هل صادفتِ يوماً رجلاً كهذا؟ رجلاً يدخل قلبك بدون سابق إنذار ويحتل عقلك بدون أن يترك مجالاً لأحد؟

هل أحببت يوماً رجلاً لمجرد أنه يضع ثلاث ملاعق سكر في قهوته؟

قد تكون أورسولا فتاة حالمة ولكن عالم فيدل زارا كوتشي تجاوز أحلامها... كان عالماً فاحش الثراء والسلطة سرق منها راحة بالها وصفاء تفكيرها... ولم تستطع القبول بقوانين هذا العالم حيث كل شيء مباح، وحيث الحب لعبة والزواج مظهر شكلي ليس إلا...

لا... لن تقبل أورسولا أن تترك زوجها لعشيقته مهما كانت عواطف فيدل... لن تقبل أن يسرق أحد حبها؟


| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان ٢٠٠٠ ل.ل. | الإمارات ٦ د. | مصر ٤ ج. | ليبيا |
| سوريا ٥٠ ل.س. | قطر ٦٠٠ ر. | المغرب ١٥ د. | اليمن |
| الأردن ١ د. | البحرين ٦٠٠ ف. | تونس ١.٥ د. | السودان |
| الكويت ٥٠٠ ف. | السعودية ٧ ر. | عمان ٦٠٠ ب. | العراق |

# ١ ـ بحثاً عن فريسة

نظرت أورسولا من فوق كتفها إلى صاحب الصوت العميق الذي همس «جميلة..» وعرفت حتى قبل أن ترى الرجل الأسمر الأجش الصوت أنه يشير إلى لوحة «الموناليزا». ردت، وعيناها الخضراوان الباردتان تقمعان أية محاولة للرد:

ـ أعتقد أن أكثر من شخص علق على جمالها قبل الآن.

ومع ذلك لم يرتدع الرجل بل قال بالإنكليزية: «كنت هنا بالأمس أيضاً».

كيف عرف أنها إنكليزية؟ ردت: «أنت دقيق الملاحظة».

شعرت بأن عيون الحرّاس تراقبهما.. لماذا لا يبتعد؟ من هو على أي حال؟ ليس فرنسياً.. ماذا إذن؟ الماني، نمساوي أم سويسري؟..

حاول مرة أخرى، وكانت لكنته في هذه المرة أشد بروزاً.

ـ أتحبين اللوحات؟

بدت لهجته أكثر انكساراً، وأكثر إثارة، وهي متأكدة أنه يتعمد هذا.. فرنت إليه بطرف عينها. إنه غير سيء، هذا إذا مالت إلى المدينيين المتحذلقين من رجال الأعمال الأوروبيين.. لكنها شخصياً تفضل الأشخاص المهتمين بالفن.

كان ينتظر ردها، فوجدت لبرهة صعوبة في تذكر السؤال. أخيراً كررت:

ـ هل أحب اللوحات؟ بعضها.

لم تقل له إنها تريد أن تصبح رسامة في يوم ما.. قال، وعيناه الزرقاوان دافئتان عليها:

ـ حينما أكن في باريس أزُر اللوفر دائماً. هل أنت في عطلة؟

ردت بحزم، تنتزع نظارتها الواقية من الشمس عن رأسها، لتدسها فوق أنفها: «لا، والآن هلا عذرتني».

وتجاوزته فشمّت عطره الغالي الثمن، أحست بقشعريرة وتصلب ظهرها.. وهي تجبر نفسها على متابعة الطريق في المعرض، عرفت أنه كان يراقبها طوال الوقت، يراقب ثوبها الصيفي الأخضر والأبيض الهادىء، وصندالها العالي الكعبين الذي يزيد من إبراز طول ساقيها، وجمال جسدها النحيل المتناسق. انتظرت حتى ابتعدت عن مرمى نظره قبل أن تحاول أن تردّ بضع خصلات قصيرة من شعرها العسلي إلى مكانها. انقلبت ابتسامتها الودود عادة، إلى خط حازم فأمثاله من الرجال ينظرون إلى المرأة وكأنها حق مكتسب لهم.. حسناً.. هذه المرة لن ينجح.. ولكن الغريب أنه لم يكن في هذه الفكرة ما يرضيها.

لم يكن التوتر قد زال عنها حتى بعدما دخلت إلى شقتها في الطبقة الرابعة. وقد ساعدها حسن الحظ هذه المرة إذ لم تجد الفتيات المشاركات في السكن في الشقة فأحست للمرة الأولى بأن المكان لها وحدها.. كانت الشقة حارة، هواءها غير عليل، فسارعت إلى فتح النوافذ، ثم دخلت إلى المطبخ الصغير، فشاهدت رسالتين قصيرتين على الطاولة، ولكنهما لم يكونا من إيما. ربما يجب أن تتصل هاتفياً بلندن، فلم يسبق أن تأخرت زوجة أبيها في إرسال نفقاتها.

وجدت بعض الليموناضة فصبت لنفسها كوباً.. هذا أفضل! لم تشعر قط بمثل هذا الحر ولا يقع الذنب إلا على ذلك الرجل الذي تمكن حقاً من التأثير فيها. ففي العادة يحصل منها الرجال على نظرة



فظة، وتبقيهم بسهولة على بُعد ذراع منها.. ولكن ماذا عن الرجل الذي كان في اللوفر ولماذا جعلها تحس بشكل مختلف؟

رفضت التفكير فيه أكثر من ذلك فأسرعت تتناول أوراق الرسم وتتجه إلى الشرفة.

هناك على الشرفة شرعت أورسولا ترسم رسوماً تخطيطية صغيرة. رسمت بطريقة لا واعية رأسه وكتفيه كما رسمت بطريقة ما ارتفاع شفتيه عندما ابتسم ابتسامة حائرة.. وفي رسم آخر أظهرت فرق شعره الأسود الناعم. غريب أمرها فكيف استطاعت تذكر تفاصيل ملامح ذلك الرجل بعد لقاء قصير.. ربما السبب عينها الفنية المحترفة!.. امتلأت الصفحة بسرعة.. بدا في قمة الصفحة جانب وجهه الصارم.. وفي مساحة غريبة كان وجهه يبتسم لها. وهاتان العينان الزرقاوان ساخرتان وشهوانيتان. التقطت في بضع خطوط ماهرة أهم ما في بنية الرجل، القامة المديدة ورجولته البارزة. أحست أورسولا أن راحتي يديها تنضحان عرقاً.. ربما رسمت ما يكفي.. فوضعت أوراق الرسم جانباً ثم تمددت قليلاً على الفراش الموضوع على الشرفة علّها تنساه ولكن ما هي إلا لحظات حتى انجرفت إلى حلم لاواعٍ لذيذ.. وسمعت بطريقة ما لكنة ناعمة مثيرة لشخص يهمس «جميلة».

وشاهدته ثانية ولكنها في هذه المرة لم تحتج حتى إلى أوراق رسمها.. فقد شاهدت خطوط وجهه القوية الجذابة وهو ينظر إليها من علو. وهذا ما يعني أنه طويل، بل طويل جداً.. كانت عيناه زرقاوين. أجل.. وتستطيع أن ترى كيف التوت شفته إلى الأعلى.. تململت في مكانها. كانت حشرة صغيرة تسير فوق بشرة ظهرها الرطبة. فلنفترض أنه موجود الآن هنا.. مهما كان اسمه.. تصورت راحة يده الناعمة تنسلّ إلى خصرها.. ثم.. سمعت من ينادي اسمها.. لقد عادت إحدى الفتيات وهي تسأل أورسولا إن كانت تريد مرافقتها إلى الحفلة؟

بالطبع تريد.. والحمد لله أنها أيقظتها من أفكار جريئة كهذه!

لم يكن المساء مثيراً كالعادة. وقفت أورسولا لحظات، تراقب الجميع وهم يرقصون. كانت الغرفة عابقة بالدخان صاخبة بأصوات الموسيقى، ولكن فيها شيئاً ما ما يزال ناقصاً.

كان الساهرون قد أعدوا العدة للقيام بنزهة صباح الأحد وهذا النوع من النزهات هو ما تحبه أورسولا. ولكنها اعتذرت واتخذت من الرسم حجة فقالت: «لقد قررت أن أبدأ الرسم يوم الاثنين» وفي الواقع أن أورسولا كانت بحاجة اليوم إلى يوم هادىء تقضيه بمفردها، فهي تشعر بالقلق.. وستتصل هاتفياً بإيما لتعرف ما أخرّها عن إرسال المال مؤخراً أو عن الإجابة عن رسالتيها الأخيرتين.. كانت أورسولا لحسن الحظ تدخر قليلاً من مصروفها، ولذلك الإيجار مؤمن بضعة أسابيع قادمة.. ولكن ماذا بعد هذه الأسابيع؟

اتصلت وقت الضحى على أمل تكون إيما مستيقظة ولكنها لم تتلق رداً.. فتجهم وجه أورسولا وتساءلت عن الخطب.. بالطبع لا.. فالأخبار السيئة سرعان ما تصل.

أعادت السماعة إلى مكانها، وعادت إلى غرفتها حافية القدمين. الطقس حار اليوم أيضاً، ربما عليها أن تحمل أوراقها إلى ضفاف «السين» الذي ستجد فيه مكاناً رائعاً.

كانت تتناول عادة الغداء في الخارج.. ولكن الحذر جعلها تقتصد، فجمعت بعض البسكويت والجبن وأعدت سلطة ثم صبت ما تبقى من الليموناضة في إبريق حافظ للبرودة مع بعض مكعبات الثلج.

تجولت بسعادة في الشقة الصغيرة التي شغفت بها. هي ما تزال حتى الآن تذكر الانفعال الذي غمرها يوم وافق والدها على السفر إلى باريس.. باريس! يا له من حلم! ويا لها من فرصة رائعة! في الواقع، كان ترك الوطن أفضل حل لها لأن والدها كان قد تزوج من إيما، وهما



لم يرغبا بالطبع في ابنة ناضجة تدور حولهما.

جلست على طرف الطاولة، تحدق بحزن إلى السقف المنحدر.. حدث ذلك منذ خمسة عشر شهراً فقط.. قبل أن يصاب بنوبة قلبية ولكنه رغم مرضه أصر على أن تسافر إلى باريس، ولم يمض شهر تشرين الثاني حتى توفاه الله.. وكان عيد الميلاد بالنسبة لها رهيباً، وتساءلت عما إذا كانت إيما ستسمح لها بالسفر.. لكن زوجة أبيها أصرت على أن تسافر. حين اتصلت أورسولا بالمنزل، منزل أبيها، رد عليها رجل.. لم تفهم أورسولا كيف استطاعت إيما الانتقال إلى رجل آخر بهذه السرعة، وما إن حانت عطلة الفصح، حتى اتضح لأورسولا أن لإيما أكثر من رجل.

تنهدت ثم ردّت طعامها إلى البراد.. لهذا السبب أصرّت إيما على أن تبقى أورسولا في باريس حتى خلال إجازة الصيف.

ولكن مشكلة المال بحاجة إلى حل.. دخلت إلى غرفة الجلوس، واتصلت من جديد فإذا بها لا تتلقى رداً.

كانت نزهة ممتعة قضتها في الشوارع المهجورة ذلك الأحد. كانت تحمل طعامها وعدة الرسم وهي اليوم مرتدية تنورة قطنية زرقاء باردة، وتي شيرت قصير مثلث الياقة مخطط بالأزرق والأبيض. أما شعرها فأرسلته على كتفيها حراً طليقاً. وكانت نظارة شمسية ضخمة تكمل مظهرها العفوي العادي.. ستستمتع اليوم بعيداً عن تحرشات الرجال الشريرة.

سرعان ما امتلأت أوراقها بالرسوم.. كانت قد استقرت قرب ماء جارٍ على كتف أحد الجسور وبالقرب من هذا المكان مرفأ لنادي يخوت فرنسي. كانت اليخوت بصواريها الهابطة أفقياً فوق سطحها مستكينة، وهي جميعها تحمل أعلام مختلف البلدان. نقلت إلى أوراقها صورة رجل ضخم الجثة يعيىء غليونه وصورة فتاة تنشر الغسيل على شريط

بلاستيكي رفيع. ومر الوقت وأصابع أورسولا لا تنفك عن الحركة. بعدما انتهت من رسم الوجوه انتقلت إلى رسم الجسر الجميل والزوارق التجارية ومراكب اللهو الكبيرة الخضراء المكتظة بالسواح، والمطاعم العائمة ومراكب العمل..

كان الناس يغدون ويروحون متوقفين قليلاً قربها ليراقبوها وهي ترسم.

عندما عادت إلى الشقة لم تجد رسالة من إيما. ربما سافرت لقضاء عطلة الأسبوع. حاولت أورسولا إبعاد المشكلة عن تفكيرها، ودخلت إلى المطبخ لتحضر عشاء. لكن الصباح التالي لم يحمل معه أية رسالة. شعرت بالراحة لأن الفتيات خرجن إلى العمل باكراً فالمكان يعج بأغراضها. من دورها اليوم في تنظيف الحمام؟ نظرت إلى اللوح الصغير المعلق فوق الطبّاخ. في كثير من الأحايين لا تتلاقى الفتيات مدة أسبوع كامل يمررن ببعضهن بعضاً كالمراكب في الليل. ووسيلتهن الوحيدة للاتصال، قطعة طبشور...

شقت طريقها بصعوبة مع لوحاتها وحمالة اللوحات وقطعة كرتون ضخمة..

استقلت سيارة أجرة أوصلتها إلى اللوفر. ما إن رأت المتحف حتى نسيت كل شيء. إنها المرة الأولى التي تأتي بها إلى معرض لوحات لتنسخ إحدى لوحات رسام كبير..

اختارت نسخ لوحة «الحداد» للفنان «تاين». ساعدها أحد المساعدين في المعرض على فرش قطعة قماش ضخمة لحماية الأرض المصقولة، ما زال الوقت باكراً والمعرض فارغاً تقريباً..

كانت غارقة في عملها تضع معطفاً قديماً ملطخاً بالدهان فوق جينز وقميص، تعود اللوحة إلى القرن السابع عشر وهي عبارة عن دكان حداد، يظهر فيها ثلاثة أشخاص هم الحداد وزوجته ووالده.



رسمت معالم الحداد وزوجته والوالد العجوز الجالس في الزاوية. عملت أورسولا بدون انقطاع غير عابئة بالأشخاص الذين دخلوا إلى المعرض ليراقبوها ترسم. لقد أصبحت معتادة على هذا.. كان والدها يقول إنه من المؤسف ألا تعيش أمها لترى هذا.. لكن أورسولا لم تكن تذكر أمها، فقد ماتت ولها من العمر أشهر معدودات.

أخيراً ارتدت إلى الوراء تقوّم عملها، فإذا هو لا بالسيء ولا بالجيد. فزاوية سندان الحداد غير صحيحة. وفيما هي غارقة في عملها، تناهى إليها وقع أقدام بطيئة.. واحد.. اثنان.. ثلاثة.. حدقت أورسولا إلى رسمها بعينين لا تريان شيئاً.. ولكنها ما كانت، ولو مقابل مليون جنيه، ستقبل بالالتفات، التقطت فرشاة وخرقة قماش، فلاحظت أن يديها ترتجفان.

ـ جميلة..

قالها مرة أخرى، وكان يقف وراءها مباشرة. لم تكن الموناليزا أمامهما.. تنحنحت أورسولا وقالت دهشة:

ـ آه، هذا أنت مرة أخرى.

ثم التقطت بعضاً من الطلاء الذي فرشته على حمالة الألوان.. ولكنها زادت الكمية.. كانت تحس بعينيه عليها، إنهما فعلاً زرقاوان. رأته اليوم مرتدياً بذلة أخرى رائعة وينتعل حذاء متيناً.

ثار فيها العجب، ونظرت إليه، فالتقت عيونهما.. تسمَّرت عيناها وأحست بمعدتها تتقلص، فاضطرت إلى إشاحة بصرها بسرعة شاعرة بحرارة مفاجئة، وبانقطاع أنفاسها.

وكأنما استجابة لارتباكها قال بصوت قاطع:

ـ هل أنت طالبة في باريس؟

تابعت مزج الطلاء مع أنها لم تكن تريد ذلك: أم أنك تعملين هنا أثناء العطلة؟

تنشقت عطره الحاد الغامض الحيوي.

ـ أنا طالبة في باريس.. مضى عليّ حوالي السنة.. أهذا وقت استراحة الغداء عندك أم أنك تجوس الأرض طوال النهار بحثاً عن فريسة؟

التوت شفتاه بغضب، ثم مسح المرح الخطوط القاسية عن وجهه.. وبدا لها واثقاً من نفسه. كانت حقيبة رقيقة غالية الثمن تقبع تحت ذراعه..

عبس ببراءة وقال مدمدماً بطريقة مغربية:

ـ عذراً.. ماذا تقصدين بـ «تجوس».

ارتعدت أورسولا، يا الله، ما هذه اللكنة؟

قالت، بصوت مرتفع قليلاً: «تطوف، تطارد، تتعقب».

نظر إليها الحارس وابتسم.

قال مرة أخرى بصوت هرة مفترسة خطيرة:

ـ آه! أجل.. أنا أجوس لأصطاد إنما فقط حين أرى ما أريده بشدة.

التقت مرة أخرى عيونهما، وتشابكت.. وأحست أورسولا بالذعر والإثارة يختلطان بغضب بارد قارس. قالت، وهي تنظر إلى الحارس نظرة ذات مغزى:

ـ هلا ذهبت من هنا وتركتني وشأني!

لكن الحارس كان يتحدث إلى جماعة من السواح..

ـ لا تغضبي.. تعالي وتناولي الغداء برفقتي.

ـ اذهب إلى الجحيم!

فتح يديه سائلاً: «الجحيم؟».

صاحت: «لا تبدأ بهذا مرة أخرى. إنك تتقن الإنكليزية إتقاني لها».



ـ القهوة إذن.

لوحت أورسولا بفرشاة الرسم نحوه، فارتد إلى الوراء خطوة فورية.

ـ ابتعد، ودعني وشأني.. وإلا طلبت اعتقالك!

ابتعد.. هكذا بكل بساطة. عادت إلى رسمها وهي تشعر فجأة بخيبة أمل.. واحد.. اثنان.. ثلاثة.. وقع الخطى نفسه.. ثم توقفت..! آه لا..! لقد جلس على مقعد من المقاعد الجلدية المعدّة للزائرين الراغبين في الراحة والتمتع باللوحات. لكنه لم يكن ينظر إلى اللوحات، بل ينظر إليها.. لا بأس.. انكبّت على تلوين سترة الحداد.. يا للإزعاج.. اللون غير مطابق أبداً... ومرت عشر دقائق، عشرون ثم مسحت ثانية غلطتها بقطعة قماش.. نصف ساعة..

وضعت فرشاتها ولوحة الألوان من يدها: «حسناً».

ودنت نحو المقعد: «سأتناول القهوة برفقتك شرط أن تتركني وشأني في ما بعد».

كان لديه الوقاحة للتفكير في الأمر. أخيراً حرّك جسمه المديد القامة الخطير الرجولة ليقف:

ـ حسن جداً آنسة أورسولا تريمان. سنتناول القهوة، وفيما بعد...

قاطعته، وعيناها متسعتان دهشة في وجه برّاق فاتن:

ـ كيف عرفت اسمي؟

ومض ضوء غريب في عينيه، ثم قادها إلى حامل لوحة الرسم. وهناك أشار إلى الاسم الذي كتبته بنفسها على الغطاء المفتوح، يوم أعطاها والدها تلك العلبة الخشبية الضخمة التي تضم الطلاء الملوّن.

قال ثانية، بصوت منخفض وكأنما يكلم نفسه: «أورسولا..»



www.elromancia.com

لا . . لم يلفظ قط أحد اسمها بهذه الطريقة . .

ذكرته : «القهوة فقط» .

أقفلت غطاء العلبة «عشر دقائق وبعدها تغادر» .

التقطت حقيبتها ، وتركت كل ما تبقى تحت أنظار الحارس اليقظة . كانت عادة تنزع معطف العمل قبل الذهاب لتناول القهوة ، ولكن ظهوره مع امرأة غير أنيقة سيفيده ، كتغيير . لقد أنبأها حدسها بأن رجلاً مثله لا يخرج معه إلا الأنيقات . . سألت نفسها : فلماذا إذن يزعج نفسه معها؟

كانت قد قررت الجلوس معه في صمت مطبق . . لقد قالت «القهوة» ولكنها لم تذكر شيئاً عن الحديث . استدارت الرؤوس حالما دخلا إلى المقهى وكانت النساء يبدين الإعجاب الصريح به . . إنه فعلاً رجل جذاب . . جذاب؟ أو وسيم؟ لا . . ليس بالضبط . حاولت أن تدرسه بعين هادئة كمحترفة . كان قوياً ، واسع الحيلة ، رجلاً ، ملؤه الحيوية .

ـ كيف عرفت يوم السبت أنني إنكليزية؟ .

ـ سمعتك تتكلمين مع أحد المساعدين في المعرض .

كانا قد وصلا أمام الطاولة ، فأرجع لها كرسياً لتجلس ، وأكمل :

ـ فرنسيتك بجودة فرنسيتي تقريباً .

لهجته تدل على أن ما قاله لم يكن إطراء لأي منهما ، فصرّت أورسولا على أسنانها . فبعد ثمانية أسابيع في معهد لغات وتسعة أشهر في كلية الفنون ، بدأت تظن أن فرنسيتها أكثر من مقبولة . سألت بعدما طلب القهوة :

ـ أتأتي دائماً إلى باريس؟

ـ عدة مرات في السنة . . وسأبقى هذه المرة حتى يوم الجمعة .

ـ آه! ومن أين أنت؟ . . أنا . . لم أستطع تمييز اللكنة .



ـ أنا إيطالي .

بدت الدهشة عليها ، فسارع يضيف :

ـ من الشمال . . من منطقة كانت جزءاً من أراضي النمسا . . العديد منا ما يزال يتحدث الألمانية . .

وكأنه تذكر أنه لم يقدم لها نفسه فعبس باستياء ثم مدّ يده إلى جيبه ليخرج بطاقة عمل :

ـ زاراكوتشي . . فيدل زاراكوتشي . .

في صوته تلميح . . تلميح ماذا؟ اعتزاز؟ استغراب؟ أيتوقع منها أن تتعرف إلى اسمه؟

هه!

وضعت البطاقة من يدها بدون أن تنظر إليها . . فيدل زاراكوتشي اسم مناسب له . . وصلت القهوة ، وقدّم لها السكر . . أخذت القليل بطرف ملعقتها . ما نوع هذا الرجل؟ أهو رجل أعمال قاسي وخبيث؟ هذا واضح . . لكن ماذا غير هذا؟ هل انتبه للهمس الذي أثاره حين دخل المكان؟ بدا وكأنه لم يحس به ، أم أن تصرفه هذا إثبات إلى أنه يملك الخبرة الكافية في إخفاء مشاعره؟

ظلت أورسولا تحرك القهوة . . حقاً ، يجب ألا تكون هنا ، فهو ليس من طبقتها . . فكرت في من مرَّ في حياتها من رجال . كانوا جميعهم يرتدون الجينز والقمصان . إنه بعيد جداً عن طبقتها . عندما مدَّ يده إلى السكر ، سألها عن دراستها وعما تأمل أن تحقق ، ووجدت نفسها تبتسم وتتحدث على سجيتها . فراح يراقبها عن كثب ثم صب ببطء ثلاث ملاعق من السكر في فنجان قهوته . . ثلاثاً؟

ـ قلت إنك تريدين أن تزيني كتب الأطفال بالرسوم .

جرّت أورسولا تفكيرها إلى الحديث مجدداً :

ـ ماذا . . آه . . أجل . . أنا . . في الواقع أجمع ملفاً . . إننا نقيم



www.elromancia.com

معارض في الكلية، ولقد بعت بعض الصور فعلاً.

ارتشف قهوته الساخنة الحلوة: «أحسدك».

بدا وجهه لبرهة غريباً.. فقالت تهز نفسها سراً:

ـ أنا لا أرغب في شيء آخر.

ثم سألها عن الصورة التي تنسخها، ووجدت نفسها تخبره عنها.

ـ كم ستأخذ من وقتك؟

ـ لا أدري.. لم أقم بنسخ لوحة من قبل.

ـ إذن، ستكونين هنا غداً.

ـ يا إلهي.. أجل.. وفي الأسبوع القادم. وربما الشهر القادم.

ثم أدركت ما يرمي إليه، فخفق قلبها لأن هذا الرجل الأنيق يريد رؤيتها مجدداً.

ـ إذن.. هل تتناولين الغداء برفقتي غداً؟

كانت عيناه هادئتين، ولكنها شعرت أن في لكنته إغواء. عندما ترددت ارتفع حاجبه الأسود بسخرية ومرح:

ـ لن أشغل وقتك كله. ساعة واحدة فقط ثم أعيدك إلى عملك.

ضحكت أورسولا. إن ما تقوم به جنون فهو يتسلى فقط ما بين موعدي عمل.

قبلت دعوته بلباقة قائلة:

ـ شكراً لك.. لكنني سأكون مرتدية ملابس العمل.

ـ أنا واثق أنني مع الوقت، سأحب رائحة.. الـ...

وخانته الكلمة فأضافت عنه: «الترپنتين».

هز رأسه، ثم تراقصت عيونهما، فجأة شعرت بأنها تعرفه منذ زمن كما شعرت بأنها كانت تنتظر هذه اللحظة بالذات.. كان هناك مزيج من التعاطف والإثارة العميقة تحرك أعماقها. فجأة، ارتبكت، وأشاح هو بوجهه عنها. التقط الفاتورة وسدّدها. عندما كانا يهمان بالنهوض



لاحظت أنه لم يشرب من قهوته إلا نصفها، فقال لها: «بردت فيما كنت أصغي إليك».

حين أصبحا في الخارج، أمسك يدها مصافحاً بطريقة رسمية:

ـ إلى الغد إذن.. أورسولا.

ابتسمت مودعة، ثم ارتدت على عقبيها وتوجهت نحو المعرض وهناك في المعرض أخرجت البطاقة.. ڤيدل زاراكوتشي... أمام الاسم عنوانان، أحدهما في ميلانو والآخر في روما.. إذن لمؤسسته فرعان ولكنها لم تعرف اسم المؤسسة لأنه لم يدوّن على البطاقة.

أعادت البطاقة ببطء إلى جيبها، والتقطت فرشاتها مجدداً.. أخيراً غرقت في العمل حتى الساعة السادسة.

سارعت إلى المنزل، وهرعت ترتقي الدرج مسرورة، وعندما دخلت إلى الشقة لم تجد رسالة من إيما.

خرجت ستيفي من الحمام والمنشفة حول رأسها، فقالت:

ـ تبدين مرحة.. أكان يومك جيداً؟ هل تم الرسم على ما يرام؟

ـ آه، أجل، بشكل رائع.

وضعت أورسولا الغلاية على النار، وفتشت بجوع ظاهر عن علبة البسكويت... هل رسمها هو سبب هذا المزاج المرح الخفيف؟ أخذت فنجان كاسترد تأكله.. ما أعنيه، من هي العاقلة التي قد تقع في حب رجل لمجرد أنه يضع ثلاث ملاعق سكر في قهوته!

هذا جنون.. وضحكت على نفسها. جنون!

* * *

## ٢ ـ غداً سأكون وحدي

كان الغداء ناجحاً. خاطرت أورسولا وارتدت تنورة قطنية وبلوزة بيضاء قصيرة الأكمام. وقت الفطور بدت الدهشة على الفتيات ولكن أورسولا قالت إن الجينز يشعرها بالحر، وإنها وجدت أن ثوباً طويلاً هو الأفضل لها حالياً.

لم يمر الصباح بالسرعة السابقة، وكان أن أمضت بعضاً من الوقت تنظر إلى ساعتها. وأخيراً بلغت الساعة الواحدة، فخفق قلبها خاصة عندما سمعت وقع الأقدام المألوفة:

التفتت لتستقبل ڤيدل زاراكوتشي بابتسامة. ولكنها لم تكن مستعدة للتغيير المدمر الذي طرأ على مظهره. لقد اختفت البدلة الرسمية، والحقيبة الجلدية، وحلّ محلها سروال بلون الشوفان، مفصل ببراعة ليظهر نحول خصره وقوة ساقيه، أما القميص المفتوح الياقة فأحاط بكتفيه العريضتين وبصدره بطريقة عفوية أبرزت قوته.

ضحكت أورسولا: «أتلعب الهوكي؟».

واضطرت إلى شرح معنى لعبة الهوكي. عندما وصلا إلى المطعم قال لها:

ـ لست مضطراً للعمل طوال النهار.

خلعت أورسولا اليوم معطف العمل.. فلقد علمتها التجربة أنه يحب العفوية، والمظهر الجميل.



ـ تبدو سائحاً.

ـ هذا صحيح، وسأحاول إقناعك بأن تطوفي بي في باريس. فأنت بدون شك تعرفين المدينة خيراً مني.

اتسعت عيناها الخضراوان:

ـ لا أستطيع. لقد وعدتني بأن لا تلهيني.. قلت إنك ستعيدني فوراً إلى العمل.

تنهد، وعيناه حادتان.. يا الله، ما أشدّ زرقتهما:

ـ أجل.. وعدتك للأسف. إذن يجب أن أحاول إقناعك؟

ـ لا.

أطرق رأسه: «حسناً جداً».

أحست بخيبة أمل مفاجئة.. فسألها:

ـ ماذا عن الغد.. إذن؟ الغد يوم الأربعاء، وأمامي أعمال كثيرة عليَّ إنجازها قبل يوم الجمعة.

تذكرت وقد هوى قلبها أنه لن يبقى في باريس سوى ثلاثة أيام. قالت: «لن تنجز شيئاً إذا تابعت التنزه».

لكنه ابتسم لنفسه ولم يقل شيئاً. التقطت أورسولا شوكتها ومررتها فوق قماش الطاولة الأبيض. وسرعان ما وصلت المقبلات فقالت:

ـ أعتقد أنني قادرة على أخذ الاستراحة مدة ساعتين غداً.

برقت عينا ڤيدل.

ـ لماذا ليس اليوم كله؟ سنذهب إلى أي مكان تختارينه. هيا.. أورسولا.

اشتدت لكنته على اسمها، واضطرت لكبح الارتجاف.

ـ يوم واحد.. هذا كل ما أحتاجه. حتى.. أستريح من عملي.. أمامي برنامج كبير.

سألت وهي تضحك ضحكة شيطانية: «أي مكان أختاره؟»

ـ أي مكان.

نظرت إليه مفكرة.. أين يمكن أن يذهب رجل مثله طلباً للاسترخاء؟ هل يريد حقاً مشاهدة المناظر؟ ألن يكون الغداء في مطعم فاخر مناسب لعاداته وطباعه؟

قالت: «أعرف مكاناً جميلاً على النهر.. وهو بعيد من هنا.. المناظر هناك جميلة.. ولكن عليك التسلق.. وهذا يعني أن علينا حمل طعامنا».

انتظرت ظهور الخيبة على وجهه، لكنه لم يفعل بل سأل:

ـ أين هو هذا المكان؟

ـ الأندليس.

ـ آه!

بدا ويا للدهشة عارفاً بالمكان.

ـ أحسنت الاختيار.

ثم عبس وراح يحرك إبهامه على يدها مذاعباً.. إن تابع هذه الحركة فستقع الشوكة من يدها.. وكرر: «الأندليس.. الأندليس الصغير؟».

هزت رأسها، فابتسم ابتسامة فعلت الأعاجيب في خطوط وجهه القاسية:

ـ لدى أحد أصدقائي مركب يرسو هناك.. ربما سنتمكن من تناول طعامنا فوق النهر، سنرسو في مكان ما؟ أو نسبح؟

أخيراً أعاد إليها يدها.. واستخدمت الأخرى لتلتقط كأس العصير علها تبلل ريقها الجاف وقالت: «ولكنني لست سباحة ماهرة».

ـ إذن سنتناول الطعام فقط.. فأنا لم أخرج في نزهة منذ سنوات.

وهذا ما ذكرها أنه لا يرتدي عادة سروالاً شوفاني اللون وقميصاً



عادياً... تساءلت أورسولا للمرة الألف عما يريده رجل أعمال كبير من فتاة نكرة مثلها؟

عندما أعطته عنوانها، قال إنه سيمر بها باكراً في الصباح التالي.. ثم استعدا ليتناولا وجبتهما.. أدركت فيما كانت متوجهة إلى بيتها ذلك المساء أنها ما تزال تجهل مكان إقامته. ولكن هل تعرف عنه شيئاً أبداً؟

أهو متزوج؟.. غير أن أورسولا لم ترغب في التفكير في هذا. في الصباح التالي صعدت إلى سيارته مبتسمة، فحدسها يقول لها إن هذا اليوم سيكون رائعاً.

وصدق حدسها، فقد مرَّ اليوم السحري من خلال غيمة وردية.. كان «الأندليس» ينعم بحرارة الشمس. أوقفا السيارة قرب المرفأ الصغير، ثم سارا في الشوارع الضيقة.. كان فيدل يمسك يدها وهما يتسلقان الطريق الوعر المفضي إلى القلعة، ثم وقف قربها ويده تستريح على كتفها. راحا ينظران إلى تعرجات نهر السين الرائعة، التي تحدها المنحدرات الصخرية والمراعي المنبسطة.. كانت مراكب النقل العريضة المنخفضة تجوب النهر صعوداً، ونزولاً.

في طريق العودة إلى الأسفل اشترى لها باقة من الورد ثم حمل سلة الطعام بحذر على درجات الجسر الضيقة حيث كانت المراكب الصغيرة تقف مترنحة تحت وهج الشمس.. قادها بعيداً إلى مركب بخاري صغير أخذ يتلوى وهو يساعدها على تسلقه، واضطرت إلى الجلوس بسرعة، فهي لا تحب المراكب.

لم يكن هناك أية نسمة. كان نهر السين أملس وثقيلاً غامضاً، وكانت أشعة الشمس البراقة تتناقض مع ظلال قاتمة على جانبيه.. شقَّ المركب الصغير طريقه في عباب الماء، واسترخت أورسولا. حتى فاجأتهما عبّارة بضائع ضخمة أرسلت موجات كبيرة جرفتهما نحو

الضفة. اهتز مركبهما، فاضطرت إلى التمسك بأطراف المركب بشدة حتى ابيضت عقد أصابعها.

لعن ڤيدل العبّارة، ووجه المركب نحو الأمواج، فأحست أورسولا عندها بالراحة. قال لها: سنتجه نحو الجزيرة.. اتفقنا؟

جلسا تحت ظل شجرة.. كانت الشمس تتسلل إليهما من بين الأغصان. بعدما تناولا الطعام جلسا ليتشمسا.. خلع ڤيدل قميصه، وانتزعت أورسولا بخجل فستانها وبقيت بثوب السباحة الذي ارتدته سلفاً. كانت تحس بالسعادة، فما أروع أن يكون المرء محاطاً بالماء ومعزولاً عن الدنيا. تباطأت نبضاتها وأصبح خفقان قلبها ثقيلاً.. معزولة عن الدنيا مع رجل يبدو.. نظرت إليه.. رجل يبدو بهيج المنظر، رجل يجعل جسمها كله يستجيب بطريقة لم تعرف لها مثيلاً.. أيمكن أن يقع المرء في حب شخص لأنه يضع ثلاث ملاعق سكر في فنجان القهوة؟ استلقت على بطنها وأمسكت بالسائل الواقي من أشعة الشمس طالبة منه بكل جرأة أن يدلك لها ظهرها به.

تردد.. وظلّ للحظات ساكناً فغاص قلبها.. ثم ذابت عيناه وتناول منها السائل فعادت تستلقي خافقة القلب، مغمضة العينين، تجبر نفسها على الاسترخاء.

كان التدليك عذباً فاتناً لها. فسرعان ما ارتفعت حرارة السائل البارد، تحت راحتيه... كان حازماً، كرجل أعمال.. وقال متمتماً:

ـ إن هذا لمغرٍ وواعد بالسعادة.

وكانت كلماته آخر المخدرات التي تحتاجها.

استلقت على ظهرها ببطء فأخذت عيناه الزرقاوان الثاقبتان تطوفان بطول جسدها الناعم المنحني..

همست بنعومة عندما شاهدت شرارات الخطر تتطاير من عينيه. ومدت يدها تلامس وجهه: «ڤيدل، عانقني».



تحركت بقلق بين يديه، تتجاوب مع تصاعد مشاعرها.. آه.. هذا لا يحصل لها حقاً.. كل هذا حلم.. إنها غير مستلقية تحت الأشجار، بين ذراعي رجل رائع لم تشاهده من قبل ولكنه الرجل الوحيد الذي رغبت فيه.. لم يحدث لها شيء كهذا من قبل، أو ما يشابهه.. كانت تغرق في الحب.. وتأوهت ثانية متمسكة بكتفيه العريضتين.

أطلق من مكان غير بعيد مركب ما صفارتين قصيرتين، ولم يكن ذاك الصفير بغية مقاطعتهما فقد كانا آمنين في مكانهما السري هذا على الجزيرة الخضراء الباردة.. لكن ڤيدل تأوه، ورفع رأسه على مضض. متصلب الوجه، جاد الملامح ثم راحت عيناه تتعقبان وجهها. فرأتا البراءة، الإثارة والرغبة... والخوف؟

ابتعد عنها، ومد يده إلى سلة الطعام يصب لنفسه كوب عصير.. حدقت أورسولا إلى ظهره العريض.. ماذا حدث؟ ما الخطأ الذي اقترفته؟ هو بكل تأكيد لا يعتقد أن ربان المركب شاهدهما؟

أسندت جسمها إلى مرفقيها ثم لامست كتفه فوضع الكوب من يده ساكباً بعض العصير على العشب. قال بصوت لطيف حازم:

ـ يجب أن نعود.. الوقت متأخر أورسولا.. عندي عشاء عمل..

كانت عيناه طوال الوقت مسمرتين على حنايا قدّها الشاب الفتي.

ـ هيا بنا.

صرت على أسنانها وعبست حائرة لأنها شعرت بأنها تعرضت للخيانة وللنبذ.

رفع لها ذقنها.. وجعلتها إرادته الصلبة السحرية الخطيرة تنظر إلى عينيه:

ـ لا تغضبي مني جميلتي.. صدقيني.. ليس الوقت مناسباً.

الوقت؟ وهل لديهما وقت آخر؟ غداً الخميس وهو سيغادر باريس

في اليوم التالي.

وكأنه قرأ ما تفكر فيه فابتسم، ثم لثم جبهتها.. وقال هامساً في شعرها:

ـ لدينا وقت العالم كله.

لم تقاوم فترنحا وشعرا بالدفء والامتزاج، والثقة المتبادلة بالمشاركة.

ـ أعتقد هذا.

وعاد وجهها إلى صدره لا إرادياً.. وكأنها تود أن تضع الختم على اتفاق ثمين يدوم مدى الحياة.

وهكذا ظل اليوم ورديا حتى وهما يحزمان كل شيء فوق المركب الصغير. جلست أورسولا في المركب الصغير مغمضة العينين نصف إغماضة بحيث لم تعد ترى سوى النور والظلال والعتمة والحركة، وأشعة الشمس المنتشرة فوق البقاع.

كادت الساعة تبلغ السابعة عندما توقفا أخيراً أمام شقتها. لثم فيدل خدها، ثم ضحك حين احمرّ وجهها، وهمس: «غداً».

هزت رأسها، فأردف أنه آتٍ غداً في الثامنة. لدينا وقت العالم كله.. هكذا قال.. إنه يحبها.. بالطبع يحبها.

كانت الشقة فارغة، فشعرت بالسرور. أدارت الراديو وغنت مع أغنية شعبية.. كان كل شيء حلماً تنيره الشمس.. إنه أفضل أيام حياتها.. وفيما هي تهم بالدخول إلى المطبخ شاهدت رسالة على اللوح، وكاد قلبها يتوقف.

تقول الرسالة: إيما في باريس.. اتصلي بها فوراً.. وتحت الرسالة عنوان فندق أنيق، ورقم غرفة.

إيما هنا.. في باريس.. لماذا؟

ردت إيما بطريقتها المعتادة على طرف الهاتف الآخر:



ـ أورسولا.. أين كنت طوال النهار؟ حاولت الاتصال بك!

ـ كنت خارجاً. ماذا جرى؟ حاولت الاتصال بك في لندن.

ـ تعالي إلى هنا وسأخبرك بما جرى.

تنهدت أورسولا: «الآن؟»

ـ الوقت الآن متأخر.. فلتكن زيارتك غداً في الخامسة بعد الظهر.

وأقفلت الخط.. ولكنها كانت مسرورة في اليوم التالي.

ـ يا إلهي! تبدين رهيبة..! ماذا دهاك لتأتي بهذا الجينز القذر.. إنه عابق برائحة التربنتين!

ـ جئت مباشرة من اللوفر.. كنت أرسم طوال اليوم.

ـ حسناً.. على هذا كله أن يتوقف.

تناولت إيما تريمان سيكارة.. كانتا في شقتها الخاصة، ولم تكن أورسولا تعرف أن لديها المال الكافي لمثل هذا الترف المبالغ.

ـ ماذا تقصدين بقولك؟ أتوقف عن الرسم؟ هذا مستحيل.. سأصبح عما قريب رسامة كتب للأطفال.

ـ كوني ما شئت.. إنما لن يكون هناك كلية فنون بعد الآن كما لن تكون لك باريس.. ما أقوله أورسولا عزيزتي، هو أننا لا نملك المال.

ـ لا أفهمك.

ـ ولا يدهشني هذا.. أليست صدمة؟

سحبت زوجة أبيها نفساً عميقاً من سيكارتها، فاتجهت عينا أورسولا إلى فخامة هذا الجناح. لاحظت إيما أين تتجه أفكار أورسولا، فانفرجت شفتاها الحمراوان عن ضحكة قاسية:

ـ لا تظني أن لهذا كله علاقة بي.. أنا أقيم هنا مع صديقة قديمة، وهي تدفع النفقات كلها. نحن نقوم بجولة في أوروبا.. إنها امرأة ثرية.. ألم أحدّثك قط عن كلير كاندليف؟

وقفت بقلق لتطفىء السيكارة:

ـ والآن جاء دوري.. اعتقد والدك أنني بلهاء، أورسولا. لكنني لن أنخدع مرتين.

ردت أورسولا: «لا تتحدثي عن أبي بهذه الطريقة؟»

أصبحت عينا إيما شريرتين:

ـ آه! يا لك من متعجرفة.. إذن حان الوقت لتكتشفي وضع (دادي العزيز) الثمين.. كان عظيماً.. أليس كذلك؟ مثال الرجل الرائع. ولكن هل عرفت أن مؤسسة الهندسة التي كان يملكها كانت تخسر منذ عشر سنوات؟

اتسعت عينا أورسولا دهشة: «لا...!»

ـ بلى..! والمنزل الكبير في «سوراي» مرهون.. كان غارقاً في الديون حتى هنا!

وأشارت بيدها إلى أنفها، فشهقت أورسولا: «لا أصدقك..»

هزت إيما كتفيها:

ـ ولماذا تصدقين؟ أنا نفسي لم أصدق. صدقيني! آه. كانت المظاهر المحدقة به خدّاعة، ابنة تدرس دراسة خاصة وفي كلية الفنون في باريس وسيارات فخمة. وعطلات، ولكنه كان فاشلاً عظيماً في عالم التجارة. إن اصبعي هذه تملك عقلاً أكبر من عقله.

تقدمت أورسولا إلى زوجة أبيها، تحدق إليها بغضب:

ـ توقفي عن هذا! كانت السيارات والعطلات لأن هذا ما كنت تريدينه أنت.. لم يكن الأمر هكذا من قبل. كم شركة تحطمت في السنوات الأخيرة بسبب الركود الاقتصادي!

تابعت إيما ما تريد قوله، وليس على خطوط وجهها القاسية المتحجرة أثر للشفقة، وقالت بلؤم:

ـ حسناً.. قررت أن يكون لي ركود اقتصادي خاص.. لقد بعت



كل شيء، بعت الشركة، أو ما تبقى منها، وبعت البيت والسيارتين..

ـ لا يمكنك ذلك!

ـ بلى.. يمكنني.. لقد ذهب كل شيء.. وليس فيها ما كان يمكن أن يفيدنا.. وقد تمكنت بما بعته من شراء شقة.

لا.. بيتها.. المكان الذي ترعرعت فيه.. لم يختف، هكذا بلمحة بصر؟ ماذا عن أثاثها المفضل؟ آه.. بل ماذا عن لوحات أمها؟ سألت مشدوهة: «أين؟».

ـ إنها شقة في «ايسلنغتون» لك فيها غرفة. لا تقولي إنني لم أقم بواجبي. قرأت الوصية بإمعان كما تعرفين. وقد نصت أنه سيؤول إليّ كل شيء ما دمت أؤمن لك مسكناً. هه! ويا له من مسكن! ويا له من ميراث!

شحب وجه أورسولا: «وماذا عن أغراضي الخاصة».

ـ إنها أغراضي أنا. بعت جميع التحف التي لا أحتاج إليها، وما تبقى رميته في صفيحة الزبالة.

كادت أورسولا تنتحب: «واللوحات؟»

ـ جاء سمسار، اشتراها كلها بثمانين جنيهاً لأنها لوحات عديمة القيمة.

وقف أورسولا مصدومة.. لقد ولّى آخر رباط هش لها مع أمها التي لم تعرفها قط. لم تكن اللوحات بذات قيمة مادية لأنها ليست سوى تجارب فنانة مبتدئة.. استدارت، وعيناها مغرورقتان بالدموع. ولكنها قالت بثبات:

ـ لن أعود إلى لندن. لقد بنيت صداقات هنا، وإذا لم أستطع تحمل نفقات الكلية سعيت إلى العمل.

ـ بصراحة أورسولا لا يهمني إلى أين تذهبين.. فلو عدت إلى لندن لاضطررت إلى مشاركة برودي الشقة. أتذكرينه؟ تعرفت إليه

عندما جئت إلى لندن في الميلاد الماضي؟ إنه لذيذ ولكنه مفلس. وأنت لست من الطراز الذي يعجبه على أي حال. ولكن، بما أنني لن أكون موجودة طوال الصيف، فقد يفيدك قليلاً.. حان وقت النضوج أورسولا.. وقت التعرف إلى هذا العالم القاسي الذي عليك مقاتلته لتعيشي.

احتاجت أورسولا إلى ما لديها من تصميم وعزم لئلا تستجيب لهذا الهجوم القذر..

ـ ماذا عن أغراضي الأخرى..؟ ملابسي كتبي ورسوماتي؟

ارتدت إيما عنها بلا اكتراث.

ـ نقل برودي كومة كبيرة من أشياء عديمة القيمة من غرفتك، وحملها إلى الشقة. قلت لك إنه طيب القلب. ربما لو نظفت نفسك قليلاً...

ـ اسمعي.. قلت لك إنني كنت أرسم طوال اليوم!

ـ أجل.. حسناً، عودي إلى حيث تريدين. أحتاج إلى الراحة قبل الخروج هذا المساء. ستعود كلير بعد دقائق، ولا أظنها ترضى أن تعبق رائحة الغرفة بالطلاء.

ـ صحيح.. لا تقلقي.. أنا ذاهبة.

لقد حان الوقت فعلاً. وأحست أورسولا بالحرمان.. كانت إيما كل ما لديها من عائلة.

التقطت زوجة أبيها مجلة، وقعدت على كرسي قرب النافذة المفتوحة..

ـ على فكرة.. سنبقى هنا حتى نهاية الأسبوع.. اعلميني بقرارك. فإن قررت العودة إلى لندن فعليّ أن أحذر برودي المسكين.

عادت أورسولا إلى الشقة سيراً.. تحس بالدوار. لقد فقدت كل شيء، والدها، المنزل وأغراضها الحميمة والأنكى من هذا كله أنها



خسرت اللوحات التي كانت صلة الوصل الوحيدة مع أمها.

كانت الشقة تعج بالناس فشعرت أورسولا بأنها بحاجة إلى مكان هادىء.. الحمام في فوضى، ولكنها استحمت وغسلت شعرها، بحركات بطيئة آلية. تحاول أن تشعر بالحماسة استعداداً لهذه الليلة التي ستكون ليلتها الأخيرة مع فيدل.

رن جرس الهاتف، وكان المتكلم فيدل الذي قال إنه سيتأخر بسبب اجتماع ثم سألها إن كان من الممكن إرسال سيارة تقلها إليه في الثامنة؟

ابتسمت لنفسها بقلق: «طبعاً».

ـ هل أنت بخير أورسولا؟

ـ نعم بخير.. لكن الشقة تعج بالساهرين.

ويبدو أنه ردّ سبب حزنها إلى حيائها ولكن ماذا يهمه حقاً؟ إن علاقتهما مجرد لعبة بالنسبة له فسرعان ما سيبتعد عنها.

ارتدت فستانها وتبرجت وعندما دقت الساعة تعلن أنها تمام الثامنة نظرت إلى صورتها في المرآة فاعترفت: ليس مظهري سيئاً. كان الفستان الناعم المنسدل يبرز لون بشرتها التي لوحتها الشمس، ويحاكي لون عينيها الأخضر. ثم أدركت أنها لا ترغب في صعود السائق إلى هنا. فهي ترفض أن تظن الفتيات.. تظن ماذا؟ أنها وجدت لنفسها راعياً عجوزاً ثرياً؟ أمسكت حقيبتها وهرعت إلى الأسفل، وكان من حسن حظها أن التقت بالسائق وهو صاعد إلى الشقة، كان قصيراً، مستديراً.

السيارة على ما يبدو ملك للمؤسسة التي يعمل فيها فيدل، فهي ليموزين. ركبت السيارة التي راحت تجتاز الشوارع الفرعية المهجورة ثم وصلت إلى شارع تكتظ فيه البنايات الشاهقة ولكن لم تلبث أن توقفت السيارة في شارع جانبي ضيق أمام بناء جبّار. ترجلت من

السيارة فأسرع السائق يفتح باباً ضخماً محفوراً، وأدخلها بسرعة إلى ردهة صغيرة مكسوة الجدران بالخشب المصقول.

قال السائق باللغة الإنكليزية:

ـ مسيو زاراكوتشي فوق.

وجدت أورسولا نفسها تصعد إلى فوق بسرعة صامتة.. ما هذا المكان بحق الله؟

ما إن انفتح باب المصعد حتى كان قيدل بانتظارها، كان شعره مبللاً وكأنه أسرع لتوه من الحمام. أمسك يدها يلثمها بحنان. أمسكت أورسولا أنفاسها، فلم يسبق أن لثم يدها أحد!

ـ أورسولا.. حبيبتي.. أنا آسف على كل هذا.. لقد أمضيت نهاري كله في «روان». إن تلك الاجتماعات لا تنتهي أبداً.. ادخلي.. لنتناول المثلجات.

اقتادها من ردهة الاستقبال الأنيقة إلى مكان مذهل هو أفضل ما يمكن أن يسمى غرفة جلوس. وكانت على مستويين.. جزء منها للجلوس وهو مكسو بسجاد أبيض. ثم هناك درجتان منخفضتان تفضيان إلى مائدة طعام زجاجية دائرية. رأت نباتات خضراء في كل مكان وهي بلونها الأخضر تتناقض مع المقاعد الجلدية البيضاء ومع طاولة القهوة الزجاجية «والكروم».. إنه مكان أنيق ولكن طابعه رجولي والمميز فيه نسخة من لوحة «لموندريان» معلقة فوق المدفأة.. لكن ما كان أجمل من هذا كله الأبواب الزجاجية التي تصل الأرض بالسقف.

اقتادها قيدل إلى الخارج، حيث تقبع حديقة ومسبح صغير.

ـ لا أصدق هذا.. إنه جميل!

بدا راضياً ودهشاً من حماستها، وأكملت تسأل:

ـ أهي شقة تابعة للشركة؟

هز رأسه إيجاباً.. ثم تركها لحظات ليعود وبيده كوبين من



العصير. وبدا أنه لا يريد أن يتحدث عما هو ممل كحديث الشقة.

وقف معها قرب حاجز الشرفة ينظر إلى سطوح الأبنية المحيطة وإلى النهر المتعرج من بعيد:

ـ فكرت في الخروج للعشاء في مكان مميز.

شاهدت من مكانها برج إيفل الذي يلفه الضباب من حرارة ورطوبة النهار، ودخان السيارات.. لمس ذراعها العارية بأصابع خفيفة.. ثم همس وأنفاسه دافئة في شعرها، وأذنها:

ـ اشتقت إليك.. تمنيت طوال النهار لو كان اليوم كيوم أمس.. لم أرغب في البقاء بين جدران غرفة اجتماعات. بل أردت أن أكون معك.

أغمضت أورسولا عينيها واستندت إلى جسده الصلب وكتمت أنفاسها.

ـ جميلة.. جميلة.. أتشعرين بما أشعر أورسولا؟ قولي لي إن هذا ليس من وحي الخيال.

آه.. كيف.. كيف ستعيش بعدما يرحل غداً؟ تصاعدت مشاعرها ولكنها حاولت كبحها وفشلت في ذلك.

أمسك رأسها بين يديه، وراحت أصابعه تلامس وجهها فقد لاحظ تساقط أولى قطرات دموعها.

ـ أورسولا.. صغيرتي.. ما بالك؟ لمَ استياؤك؟

انسلت من بين يديه غاضبة من نفسها بسبب ظهورها بمظهر الطفلة الساذجة أمامه وهو المعتاد على النساء الخبيرات مثله، وقالت:

ـ تستخدم ألفاظاً ألمانية كثيراً.

ـ صحيح؟ نحن نتكلم في الوطن اللغة الإلمانية والإيطالية ولكنك فعلاً كئيبة.

واحتواها بين ذراعيه، فاهتزت كتفاها بنحيب صامت:

ـ . . أخبريني!

ـ لا أستطيع.

ـ بل تستطيعين.

قادها إلى أريكة هي عبارة عن أرجوحة تظللها ستارة ملونة وجلسا يتأرجحان بلطف.

أخبرته بكل شيء. أخبرته عن المنزل الذي بيع وعن مسألة التوقف عن كلية الفنون ثم أخبرته بصوت كسير عن لوحات أمها التي لن تراها ثانية. عندما كانت تتحدث راحت يده تملس شعرها أما أنفاسه فكانت عميقة، بطيئة، وكأنه يفرض الهدوء على نفسه. . تركها تبكي قدر ما تشاء. ولكنها لم تستطع أن تقول له إن نصف دموعها المنهمرة كانت بسببه لأنها بعد غد ستكون وحيدة. .

دقت أجراس الكنائس حولهما. دقت تسع دقات. . ثم استمرت ربع ساعة ونصف ساعة. . وأخيراً، ساد الهدوء. . وأرادت أورسولا أن تمتد هذه اللحظات إلى الأبد. . لكن ڤيدل أخيراً، تحرك إلى جانبها، فاستوت جالسة، ترجع خصلات شعرها الأشقر إلى الوراء وهي لا تعرف ماذا تقول.

مرر إصبعه بخفة على وجهها: «أما زلت راغبة في الخروج؟».

يا الله. . العشاء. . إنه بدون شك يتضور جوعاً!. . ولكنها لم تكن قادرة على مواجهة مطعم أنيق، قالت تنظر إلى منديلها:

ـ أفضل البقاء هنا.

تسللت أصابعه إلى ذقنها، يرفع وجهها. عكست العينان الخضراوان المتعبتان صورة ألمها فتجهم وجهه، ثم لان:

ـ ربما هذا قرار غير حكيم يا صغيرتي.

فجأة أحست أنها لا تريد أن تكون حكيمة، فقالت:

ـ لا أستطيع مواجهة الناس.



ولم تكن تعرف ماذا كان يفعل الانكسار في صوتها به.

نبض عرق في خده، ورفعت يدها تهدئه. . فابتسم. . آه. . يا لها من ابتسامة. . ثم همس: «سأتصل بالمطعم لألغي الحجز».

* * *

www.elromancia.com
مـــرمـــوزيـــة

# ٣ ـ ابقى معي!

تلألأت المدينة الرمادية الناعمة بالأنوار. تقدمت أورسولا إلى حاجز الشرفة، وهي تسمع فرنسية فيدل الرائعة وهو يتحدث على الهاتف. إنه رجل كامل حقاً، وهو بدون شك يملك مركزاً هاماً في الشركة وإلا لما سمح له باستخدام هذه الشقة..

سألها عندما عاد إلى الشرفة ووقف قربها:

ـ أتستطيعين تناول الطعام الآن؟ ولكنه سيكون طعاماً خفيفاً! بيضاً مقلياً؟

هزت رأسها إيجاباً بيد أنها لم تستطع الجلوس في الخارج بعيدة عنه. دقّت الساعة العاشرة. ساعتان قصيرتان تفصلانها عن يوم الجمعة..

وهكذا أعدّا الطعام مما هو موجود في البراد.. وامتلأت طاولة الطعام بالسلطة والجبن، والفاكهة، والبيض المقلي السميك. تناولا الطعام بهدوء.

سألها وهو يقطع خوخة:

ـ أمن الضروري أن تذهبي إلى كلية الفنون؟

ـ لا أريد ذلك من أجل الوظيفة بل من أجل تنمية موهبتي.. والرد أجل قطعاً ولكنني أستطيع الدراسة بشكل جزئي وسيكون ذلك سبباً في إطالة مدة الدراسة ليس إلا.



ـ ومن الضروري البقاء في باريس؟ هل هناك أستاذ معيّن، ربما؟

ابتسمت أورسولا له، بشرتها الناعمة التي لوّحتها الشمس تكاد تكون شفافة أمام نور مصباح الطاولة.. وقالت:

ـ إن الحياة في باريس تكلف كثيراً، ومن الأفضل أن أدرس في لندن.

ـ ولكنك لا ترغبين في العودة إلى شقة زوجة أبيك؟

ـ آه!

ساد صمت متوتر. ثم لم يلبث أن اقترح فيدل تناول القهوة على الشرفة. وفي هذه المرة، لم يضع سوى ملعقة سكر واحدة في فنجانه.. غريب!

كان الظلام في الخارج قد أسدل ستارته السوداء الحالكة التي لن تدوم سوى ساعات قصيرة في مثل هذا الوقت من السنة.. كانت أنوار المدينة تحتهما تتلألأ وكأنها سجادة من الأضواء. وقفا يحتسيان القهوة بصمت يراقبان المنظر.. ثم جلسا على الأرجوحة المزدوجة المقعد. أخذ يتلاعب بأناملها بلطف، ويرفعها إلى شفتيه.

أغمضت أورسولا عينيها، تحس بألم داخلي.. أرادت أن يعانقها بشكل ملائم.. إنها بحاجة يائسة إلى حبه. فليس أمامهما سوى ساعات قليلات. لم يقل شيئاً عن رؤيتها مرة ثانية.. في الواقع، بدا وكأنه يختفي داخل نفسه.. هل ندم على اصطحابها إلى هنا؟ هل وجد أنه لا يرغب في التورط؟ تأرجحت بهما الأرجوحة بلطف متزامنة مع دقات الحياة النابضة في أعماقها.. بدأت الساعات حولهما تعلن عن منتصف الليل، فحبست أورسولا أنفاسها. لقد بدأ يوم الجمعة.

قال فيدل بهدوء:

ـ عشت يوماً كئيباً ضاغطاً وأنت بدون شك متعبة.. يجب أن أعيدك إلى منزلك.

لم ترد. ولكنها أدارت رأسها تنظر إليه، بعينين متسائلتين.

ـ أورسولا.. صغيرتي.. لا تنظري إليّ هكذا.. أنا أحاول..

ارتفعت يده تلامس خدها.. فهمست:

ـ لا أريد الذهاب.

ـ ولا أريد أنا أيضاً أن تذهبي.

ـ حسن.. إذن؟

ـ نحن بحاجة إلى الكلام.. لم نناقش شيئاً حتى الآن كما أنك لا تعرفين شيئاً عني.

سألت بصوت ضعيف: «هل أنت متزوج؟».

بدا وكأن السؤال أدهشه وسلاّه في آن واحد.

ـ لا.. أورسولا.. لا.. لست متزوجاً.. أليس الأمر عجيباً؟.

أجل.. فكيف استطاع الهرب من حبال العديدات.. فجأة غنّى قلبها فرحاً.

أردف يقول: «لكن.. انظري إليّ.. كم عمرك؟ واحد وعشرين؟ اثنان وعشرون؟».

همست، تنظر إليه بسرعة:

ـ تسعة عشر.

شاهدته يغمض عينيه رعباً فأردفت: «لكنني سأبلغ العشرين بعد أسابيع».

ـ آه.

فتح عينيه ثانية، وعلى شفتيه طيف ابتسامة.

ـ وهل لهذا فرق؟

إنه يضحك منها، وأحست بالارتباك.. بدأت الساعات تعلن أنها الثانية عشرة والربع، إنها فعلاً ساعات غير متزامنة.. فهي تريد من كل ساعات العالم أن تتوقف.. تريد أن تبقى هنا، على هذه الحديقة، مع



ڤيدل، إلى الأبد.. أحنى رأسه يعانقها، وتمتم على شعرها:

ـ أنا في الثالثة والثلاثين.. الفرق بيننا كبير.

ـ أتقول إنني صغيرة؟

ـ لا بل أنا أكبر منك بكثير.

مررت يدها على صدره، فشعرت بقلبه يخفق محاكياً قلبها.. شعرت بالصدمة لأنه متأثر عاطفياً.. وهذا ما أعطاها الشجاعة لتقول، بشيء من الإغراء:

ـ عليّ أن أحكم إن كنت كبيراً أم لا، وفي الواقع لا أظنك كبيراً أبداً..

أمسك يدها ورفعها إلى فمه: «ألا تظنين هذا؟ حقاً؟»

ثم احتوتها ذراعاه وتمتمت شفتاه بلطف وهما متعانقان:

ـ لقد أردتك كثيراً.. أورسولا.. لكنني الآن.. الآن..

وتلفظ بكلمات ألمانية لم تستطع فهمها، ثم أبعدها قليلاً عنه، متنهداً تنهيدة عميقة، سألها وهو يمسد شعرها:

ـ أتريدين البقاء هنا؟

همست تخفي وجهها في كتفه: «أجل أرجوك».

ـ أتعرفين ماذا سيحدث إن بقيت هنا؟

هزت رأسها إيجاباً.

ـ قوليها لي.

ـ أجل ڤيدل.. أنا واثقة أنني أريد قضاء الليل معك.

ضمها بشغف إليه ثم راح يعانقها ويعانقها بجوع وهيام ولكنه لم يلبث أن تراجع عنها قائلاً: لا، يجب ألا يحدث ذلك.

ثم ابتعد عنها قائلاً: «أورسولا نامي هنا الليلة ولكن لا تتوقعي مني شيئاً فأنا لا أستطيع القضاء على طهارتك».

وحملها بين ذراعيه إلى الداخل.



www.elromancia.com

ـ لماذا؟ أتخشى أن أطلب منك بعد ذلك الزواج؟ نحن في القرن العشرين وأنا راشدة.

ـ ماذا تقصدين؟

ـ لا أريد أن تظن أنني أتوقع..

ـ تتوقعين مني أن أطلب منك الزواج؟

ـ أجل.. أترى.. لست بحاجة إلى هذا حتى وإن حدث بيننا شيء.

ـ بل هناك حاجة ملحة لأنني أريد فعلاً الزواج بك ورغبتي هذه بدأت منذ الأسبوع الماضي. أنت أجمل من «الموناليزا».. هل تحبينني؟

شهقت، وأطرقت الرأس مغرورقة العينين بالدموع فضمها إليه.

ـ وهل الزواج بي سيء إلى هذا الحد؟

ـ سخيف!

ـ إذن.. ابتسمي لي.. هذا يكفي.. نامي الآن وغداً لكل حادث حديث.

استيقظت في الصباح التالي تنظر إلى ما حولها بدهشة ولكنها لم تلبث أن تذكرت ما حدث البارحة. نهضت من الفراش وأسرعت ترتدي ملابسها، ثم توجهت إلى غرفة الطعام فوجدت الطعام جاهزاً ويبدو أن فيدل قد أكل حصته. جلست إلى المائدة تتناول الطعام ثم لمّا أنهت وجبتها قصدت غرفة الجلوس وهناك لفتت انتباهها من جديد اللوحة. إنها فعلاً تحب فن «موندرايان».. وهذه فعلاً نسخة رائعة.. ولكن عندما اقتربت منها أدركت مجفلة أن اللوحة أصلية! لا! ولكنها أصلية! دخل فيدل إلى الغرفة، فرآها مهتمة باللوحة.

قالت له بعينين متعبتين عجباً: «إنها أصلية».

ضحك: «إنها إحدى نقاط ضعفي».



ـ ولكنها تساوي..

رد بهدوء جاد وراح يراقبها مفكراً: «أعتقد هذا».

سحبت نفساً عميقاً.

ـ أخبرني بالضبط لمن تعمل؟ وما هو نوع هذه الشركة التي يمكنها شراء ديكور فاخر كهذا؟ ما هو هذا المكان بالضبط؟ من «أنت» فيدل؟

ـ أنا.. مصرفي.

ـ آه. تعني أنك تعمل بالمال، هذا يفسر الكثير.

ضحكا معاً، وقال جاداً: «ليس الأمر هكذا».

تنهدت: «لا أعتقد أنه هكذا».

ـ أنا أعمل جاهداً.

ـ أجل.

ـ جاهداً إلى درجة اضطراري إلى مغادرة باريس بعد الظهر.. ولا سبيل للهرب من السفر حبيبتي.

نظرت إليه من بين أهدابها: «أعرف».

مد يده إلى جيب سترته، وأخرج ورقة:

ـ يجب أن أكون في بروكسل.. هذا رقم هاتفي هناك، ثم هذا رقمي في لندن.

ـ وهذا رقم روما على ما أظن.

ـ صحيح.

دنا منها يضمها مجدداً، وأصابعه تعبث بشعرها، ثم همس:

ـ أحبك.. وأتمنى لك يوماً رائعاً.

دفنت رأسها في قميصه الأزرق وردت هامسة أيضاً: «وهذا ما أتمناه لك أيضاً».

أبعدها عنه بحزم:

ـ سأتصل بك يومياً. سأغيب أسبوعاً أو عشرة أيام وبعد ذلك

سنكون معاً..

ثم، وكأنه تذكر شيئاً، فأخرج محفظته: «سأترك لك بعض المال».

ارتدت إلى الوراء، وقد راعتها الفكرة: «لا».

ـ لكنك قلت إن إيما حبست عنك المال.. ستحتاجين إلى المال حبيبتي.

ـ لا.. لا.. أنا بخير.. على ما يرام.. حقاً! لدي بعض المدخرات، والشقة مدفوع إيجارها عدة أسابيع أخرى.

قرر ڤيدل ألا يلح عليها. ثم فجأة قرع جرس الباب وكانت السيارة قد وصلت لتقله إلى مكان الاجتماع في «روان». عانقها بسرعة، ثم تمتم شيئاً بالألمانية..

أحست بالخجل وهي ترتدي ثوب سهرة في التاسعة صباحاً. خاصة وأنه السائق نفسه الذي أقلها ليلة أمس. ولكن وجهه لم يتحرك وهما يخطوان من المصعد في الطابق الأرضي، وقال ڤيدل بالفرنسية:

ـ أود أن أقدم لك السيدة زاراكوتشي العتيدة.

ارتجفت يدا أورسولا، وتلقت التهنئة من السائق.. وظل ڤيدل ينظر إليها بفخر. في تلك اللحظات أحست أنها قريبة منه ولم تكن قادرة على الانتظار لتخبر العالم كله!

***

ضحكت إيما تريمان بصوت حاقد:

ـ تتزوجين؟ أنت؟ هذا أمر مفاجىء قليلاً عزيزتي أورسولا..؟

ـ أعتقد هذا.

مضى عليها يومان قبل أن تجمع ما لديها من شجاعة لتعود إلى الفندق.



ـ منذ متى تعرفينه؟

ـ منذ وقت غير بعيد.

ـ أتظنينه ينوي الخير؟

تحجر وجه أورسولا: «ماذا تعنين بكلامك؟»

ـ أيخال نفسه قد وجد وريثة غنية، أرسلها «دادي» إلى كلية الفنون في باريس، لتستمتع قليلاً...؟

كانت أورسولا ترسم طوال اليوم في اللوفر وها هي ما تزال بالجينز نفسه فقالت: «أأبدو وريثة؟»

سحبت إيما أنفاساً عميقة من سيكارتها، وجلست في مقعد.. ثم قالت أورسولا:

ـ ظننتك ستكونين راضية.. أقصد أنك بذلك تتحررين من مسؤوليتك تجاهي.

ـ أنا غير مسؤولة عنك سواء أتزوجت أم بقيت عزباء. ألم أوضح ذلك؟

ـ أوضحته كل الوضوح.

ـ جيد.. ولكن هذا لا يعني أنني سأدعك تتزوجين من شخص لا يناسبك أبداً. من هو هذا الشاب؟ ما اسمه؟ ما عمله؟ ومن أين هو؟

ـ إنه إيطالي.

ـ يا إلهي. لا تقولي إنه عامل مقهى إيطالي وضيع.. العالم يعج بهم!

ـ لا، ليس عامل مقهى.. مع العلم أنني لا أكترث وإن كان كذلك.

إن سحر ڤيدل لا يكمن في مركزه أو غناه، بل في جرأته وثقته بنفسه وغروره الرجولي الذي يدفعه إلى النجاح.. وتابعت بسرعة: «إنه رجل أعمال. اسمه ڤيدل».



www.elromancia.com

برقتْ عينا إيما بخبث، وكأنها تقوّم الموقف من وجهة نظرها.

وسألت بصوت ملؤه السخرية: «فيدل ماذا؟»

لماذا التردد؟

ـ فيدل زاراكوتشي.

جمد وجه إيما: «زاراكوتشي. أهو من عائلة زاراكوتشي؟».

ابتلعت ريقها: «لا أدري».

ـ ماذا تعنين بـ «لا أدري؟»

توجهت إيما إلى النافذة، ثم عادت وعلى وجهها العداء، الحقد والذهول والتردد:

ـ إذا كنت ستتزوجين به فأنت تعرفين.

ـ أعرف أنه يعمل في مصرف...

قاطعتها زوجة أبيها:

ـ لا أصدق.. هاأنذا أفتش أوروبا كلها عمن يوفر لي وجبة في مطعم فخم.. وها هو أحدهم يهبط في حجرك أنت.. لا تقولي لي إنك لم تسمعي بعائلة زاراكوتشي. إنها عائلة من أقوى عائلات فيينا في عالم المصارف في أوروبا. كانت كلير صديقتي تتحدث عنهم منذ أيام فهي تملك اسهماً في شركة ملاحة في «روان» ترغب في بناء حوض ضخم لبناء السفن. إنه مشروع يحتاج إلى ملايين لا حصر لها، وطلبوا من عائلة زاراكوتشي التمويل. ولقد نشرت الصحف كلها الخبر. ألم تقرئيه؟ وكان هناك صورة أيضاً..

تمتمت أورسولا: «لا لم أقرأه بل أنا لا أقرأ الصحف. كان فيدل في «روان» الأسبوع الماضي».

بدأت إيما تضحك بهستيريا وقالت:

ـ إنها مزحة.. لا شك أنه شخص ما يحاول التغرير بك.. يظنك تملكين مالاً أو يحاول معاشرتك.. أين هو الآن؟ أريد رؤيته.. أريده



أن يعرف أنه لن يتزوج ابنة زوجي بهذه السهولة. ثمة شروط محددة!

إنها تفكر في مال تجنيه من الأمر، ولم تستطع أورسولا أن تصدق.

ـ لقد تجاوزت الثامنة عشرة وهذا يعني أنني لا أحتاج إلى موافقتك.

ـ ثمة اعتبارات أخرى.. قد أخبره عن إفلاس والدك وعن إعالتي لك قائلة إنني أنفقت كل ما أملكه عليك.. ثم ها أنت تكبرين وتنبذينني.. لا أظن أن عائلة زاراكوتشي يحبون هذا النوع من الفضائح.

شهقت أورسولا: «لن تجرؤي».

ـ بدأت تقلقين وتخافين أن تخسري تأثيرك فيه؟

عادت إلى الطاولة حيث تركت سيكارتها تشتعل:

ـ حسن جداً.. ربما أنت محقة.. ربما سأنتظر حتى تتزوجي بسلام.. ولكنني سأمهلك سنة واحدة فقط.. أنت حمقاء إن ظننت أن فتاة لا شأن لها مثلك قد تسعد أي رجل.

التوى فمها بسخرية حاقدة، ثم أردفت:

ـ لكن الله وحده يعرف سبب رغبته في الزواج بك.. هل أنت حامل منه؟ ولكن هذا لا يشكل فرقاً.. فبإمكانه بسهولة أن يدبر لك..

صاحت أورسولا: «لست حاملاً».

لم تظهر الدهشة على إيما التي طالما أوضحت أنها تعتبر أورسولا غبية وغير جذابة. سألت فجأة:

ـ كم عمر فيدل زاراكوتشي هذا؟ إنه كبير بالنسبة لك؟ ولكن يبدو أن لديه شغفاً بالفتيات الصغيرات؟

وكان هذا أكثر من أن تطيقه أعصاب أورسولا التي التقطت حقيبتها وهرعت إلى الخارج بسرعة.

عادت إلى شقتها سيراً، غاضبة من إيما لحظة، ومرتبكة مشوشة أخرى. أخيراً، دخلت إلى الشقة.. ربما ليس ڤيدل هو الشخص نفسه! أين هو دليل الهاتف؟ وجدته تحت المقعد، وفتشت صفحاته «ز».. «ڤيينا».. ها هو زاراكوتشي.. ڤيينا.. إنه الاسم نفسه.

تنهدت تنهيدة عميقة وقعدت على وسادة فوق الأرض والشك يسكن قلبها.. إذن هو بالفعل ڤيدل زاراكوتشي.. فجأة شعرت بالعجز.. فإن كان لا يمكنها حتى التفكير بكلمة «مليونير» فاكتفت بكلمة «ثري» فلماذا يزعج نفسه بها؟

أتراه يريد الزواج بي لسبب آخر.. ففي هذا الرجل ما هو خطير. حين كانا معاً أحست أنه رجل متكبر، عدواني، مسيطر ومميز. فكيف تحب شخصاً، وتريد الزواج به ثم في الوقت ذاته تخافه وتحار بأمره؟

هل ينذرها حدسها ثانية أو ما تشعر به هو التوتر الذي يسبق الزواج عادة؟.

***



## ٤ ـ اليوم الذهبي

غاب ڤيدل أسبوعين كان المناخ خلالهما قد تغيَّر قليلاً فتلبد الجو بالغيوم. قضت أيامها في حيرة واضطراب أما ليلها فقضته ساهرة تحاول معرفة ما إذا كان ما جرى حلماً. هل طلب رجل كڤيدل يدها؟ أيريد حقاً الزواج بها؟.

أغمضت عينيها بشدة وتقلبت فوق الوسادة.. أرادت أن تحضنه بقوة. أرادت أن تحس به بين ذراعيها.. أرادت أن تحس بقوته تسيطر عليها وأن تحس به يقمع نفسه بقوة إرادته.

كان يتصل معظم الأيام. في المرة الأولى اتصل بها من بروكسل ثم من لندن، وفي الأسبوع التالي اتصل من روما، وكان الوقت منتصف الليل تقريباً وقد استطاعت أورسولا سماع موسيقى آتية من مكان قريب. شعرت أنه لا يتصل من فندقه.

سألها بهدوء: «أنت في الفراش؟»

ـ لا.

لم تستطع أن تقول له إنها لم تتمكن من النوم قبل أن يتصل.. وقالت: «كيف حالك؟»

ـ اشتقت إليك.

كان صوته منخفضاً مثيراً منكسراً.. ثم تكلم معه شخص ما، وكان رده جملة طويلة باللغة الإيطالية. فسألته وهي تحاول ألا تظهر



www.liberromancia.com

تطفلها، فالصوت لأنثى:

ـ أتقيم عند أصدقاء؟

ـ أتعشى مع أصدقاء.. ولم ألحظ الوقت.. كنت أنوي أن أتصل بك من شقتي.

أيعني هذا أنه لن يعود الليلة إلى شقته؟

ـ أما زلت معي أورسولا؟

ـ أجل.

ـ أبك شيء؟

ـ أنا.. متعبة، هذا كل شيء.

ثم بدا غاضباً من نفسه، وشرح لها أنه مسافر إلى ڤيينا في اليوم التالي ثم قال إنه لن يتمكن من العودة إلى باريس حتى مساء الثلاثاء. حتى ذلك الوقت الطويل؟ ثم انخفض صوته متمتماً بدعوة حميمة:

ـ هل ستطهين عشائي؟

نضحت راحتا أورسولا عرقاً وأخذ نبض كليل مخدر يضرب ضرباته المألوفة في عروقها.

يوم الثلاثاء.. إنه بعيد، بعيد. ودعته متمنية له ليلة سعيدة. احتبت أورسولا فوق الأريكة، منهكة، تحس تقلصاً غريباً في معدتها.. لماذا لم يقل لها من تكون المرأة؟

ثم، غمرها نوع آخر من القلق وهي تتأمل ذلك التغيير الهائل الذي جرى في حياتها في الأسابيع القليلة الماضية.. الآن.. هي.. أورسولا التي تنتقد دائماً صديقاتها وحياتهن العاطفية. هل أصبحت، صدقاً، مختلفة كثيراً؟

اتصل بها من المطار ليقول لها إنه عاد إلى باريس، وإن السيارة ستصل لتقلها بعد السابعة.. بدا لها على عجلة من أمره. صوته ملك الغريب الذي في داخله والذي لم تلتق به حتى الآن. أهي مفرطة



الإحساس أكثر من اللازم؟ أم أنه بدأ يغير رأيه؟

زجرت أورسولا نفسها وكانت تبتسم ابتسامة مشرقة عندما انفتحت أبواب المصعد ودخلت إلى الشقة.

لكنه لم يكن في الردهة بانتظارها.. بل كان هناك شخص آخر.. شاب في مثل سنها، يرتدي بذلة أنيقة ويتحدث هاتفياً باللغة الفرنسية. التفت ما إن خطت أورسولا إلى الردهة، وابتسم لها ابتسامة سريعة. لكنه في الواقع كان يصغي إلى من يتكلم معه، هز رأسه، قال أجل، أجل، ثم رد مجدداً، وكان غاضباً، مصرّاً.. في صوته أكثر من لمسة سلطة.. ثم تكلم عن ستوكهولم وعن بعض الأسهم... فرفرفت أورسولا عينيها ثم سارت إلى غرفة الجلوس المتصاعدة منها أصوات كثيرة.

كان ڤيدل هناك، يستخدم الهاتف الآخر وحول عنقه ربطة غير مستوية. كان حاله كحال الآخر. كان يدلك مؤخرة عنقه، ويهز رأسه.. لم يشاهدها.. في الغرفة بضع رجال وعلى الطاولة مستندات كثيرة وجهاز تسجيل، أما الجو فمثقل بدخان السكائر.. لم تعرف أورسولا لبرهة ما تفعل، ثم رفع ڤيدل رأسه فجأة وشاهدها.

ابتسم فخفق قلبها.. ثم أخذ يتحدث بالألمانية، كان صوته فاتراً بارداً وخطيراً ولكنه حرك إصبعه يشير إليها أن تتقدم، فجأة وقف الرجال المنكبين على الأوراق.

همست أورسولا وقد أصبحت قربه: «لم أكن أعلم».

لف ذراعه حولها، وأكمل حديثه هاتفياً، ثم توقف ليعانقها مشيراً إليها أن تجلس.

قدم لها شخص ما كوب عصير، وجلست في أحد المقاعد الجلدية البيضاء الفاخرة، محاولة الابتعاد عن الطريق.. الآن، وبعد أن عرف زملاؤه عن أنفسهم رسمياً عادوا إلى اجتماعهم.

ظهر الرجل الذي كان في الردهة، ونادى قُيدل الذي قطع حديثه وخرج إلى الغرفة الأخرى، حيث سمعت نبرته القوية المفعمة بالسلطة.

مضت نصف ساعة، تلقى قُيدل خلالها مكالمات هاتفية عديدة. سمعته يقول رداً على طلب ما:

ـ قل لهم إننا لن ندفع أكثر من عشرين مليوناً.

انتفضت أورسولا وظلت هادئة.. فالعشرين مليوناً.. مبلغ ضخم في جميع العملات.

هذا هو عالم قُيدل. ولكنها عندما نظرت إلى تنورتها البسيطة وإلى سترتها القطنية تساءلت للمرة الألف، لماذا أنا؟

أخيراً غادر الجميع، وعاد قُيدل إلى غرفة الجلوس، يمد يده إلى أورسولا يقودها إلى مكتب كان يجلس إليه. سحب وثيقة أمامه والتقط قلماً..

ـ لم أرغب أن تكتشفي أمري بهذه الطريقة.. لكن حدثت مشاكل لم نكن نتوقعها...

ـ هذا ما فهمته.. ولكن لا يهم لقد عرفت.

ـ عرفت؟

وبدا.. ماذا؟ يشك؟

ـ من إيما.

ـ آهاه!

ـ ليتك أخبرتني بنفسك!

ترك يدها، ودلك مؤخرة عنقه.

ـ أردت إطلاعك على الأمر، ولكن الأمور خرجت عن إرادتنا.

حاول أن يبتسم، ولكنه لم يفلح.. فتوتر وجهها:

ـ قلت لك إنه لا حاجة إلى أن تطلب يدي. وكنت مستعدة



لأعطيك ما تريد بدون زواج.

بدا على قُيدل التعب وسأل: «أتحاولين قول شيء ما لي؟»

ارتدت عنه متوجهة إلى أبواب الشرفة، تفتحها.. فدخان السكائر العابق يُشعرها بالضيق.

أحست بكل شكوك الأيام وألمها تضغط عليها: «أنا لا أعي ما أقول».

ـ لماذا لا تدخلين إلى المطبخ لتطهي لنا العشاء؟ ألم تأت لهذا الغرض.. سأنظف المكان هنا. وبعد ذلك سأستحم.

وقفت أورسولا في المطبخ تفكر ماذا دهاها؟ هل أساءت التصرف لأنها توقعت منه الكثير في لقائهما الثاني. إنه حتى الآن ورغم رحيل الجميع لم يعانقها. أهو واثق منها إلى هذه الدرجة؟ أكان يعامل نساءه جميعهم المعاملة ذاتها؟ وماذا عن تلك المرأة في روما؟..

تنهدت غاضبة من نفسها ومنه في آن. ثم فتحت البراد، فارتاعت! ثم راحت تبحث في خزانة المطبخ المليئة بأدوات الطعام، وفناجين القهوة والشاي.. ولكنها لم تجد طعاماً. فليس في الخزانة أو البراد سوى بيضة واحدة وبعض حبوب القهوة! أهذه هي حياة مليونير مثله؟ أيعجز حتى عن تنظيم مطبخه؟

عادت غاضبة إلى غرفة الجلوس فوجدته هناك جالساً يكتب شيئاً ما. أما تنظيف المكان فتركه غير عابىء، من الواضح أنه ما يزال مشغول البال بشأن الأزمة المالية. ألا يعني له الطعام شيئاً؟ أليس لديه وقت للتفكير فيه؟ ربما لهذا السبب يريد الزواج بها.. ربما تعب من العودة إلى المنزل الذي لا يجده إلا خاوياً.. رفع رأسه عندما أحس بها، فقالت:

ـ ليس هناك طعام.

مرر يده ببطء على وجهه: «سأطلب طعاماً صينياً. أتحبين الطعام



www.elromancia.com

الصيني؟»

ثم ضحك بقلق، ووضع القلم من يده، ينظر إليها بعينيه الزرقاويع الساحرتين... كان اسمراره قد ازداد، وهذا ما يناسبه أكثر فقالت: «ألا تريد متابعة العمل؟»

دفع الأوراق جانباً: «ليس الآن، فلينتظر العمل».

ـ كيف كانت لندن؟ فأنا لم أذهب إلى هناك منذ الميلاد الماضي.

بدا قيدل متكتماً وكأنه لا يريد التحدث عن لندن:

ـ عظيمة.. بتُّ هناك ليلة واحدة.. لقد أمطرت.

ابتسم لها وكأنه يغير موضوع الحديث.

ـ وأمطرت هنا كذلك.

ـ وفي بروكسل أيضاً.

ـ إذن، من أين أتيت بهذا الاسمرار؟

ـ ألاحظت هذا؟

ضحكت: «بالطبع لاحظت».

بدت السعادة عليه: «لوحتني شمس روما».

أضفت لكنته الإيطالية على اللفظ بُعداً عذباً، وأحست أورسولا بالاضطراب لأنها تذكرت تلك المرأة.

وقف قيدل يداعب ذراعها قليلاً.. ثم تمطى قائلاً إنه بحاجة إلى حمام.. خرجت إلى الشرفة وهي لا تدري ما إذا كان مرغوباً فيها أم لا. ثم تذكرت زيارتها الأولى إلى الشقة، ولاحظت أنها تجلس أمام لوحة «موندريان» بدون أن تلاحظها. أهكذا تجري الأمور؟ أيصبح المرء معتاداً على الترف والثراء؟ وهل ستعتاد على سمعة قيدل العالمية، وكل ما يتعلق به بالطريقة ذاتها؟

نزعت سترتها ثم توجهت إلى المطبخ وهناك رأته يضع الأكواب في غسالة الصحون.. وقفت في الباب تنظر إليه.. تبتسم له..



وعرف. عرف مخاوفها، وحيرتها. كان كمن يستطيع رؤية كل شيء في أعماق نفسها.. وكان هذا مبهجاً، ومخيفاً في آن. ابتلعت ريقها وهو يجفف يديه ويرمي المنشفة على الرف.

تقدم ليمسك بكلتا يديها، يضمها إليه ويطبع قبلة على شعرها:

ـ لست جائعاً.. وأنت؟ أتريدين أن أطلب الطعام؟

همست مغمضة عينيها، تحس بجسدها يستيقظ أمام إثارة خطيرة: «لست جائعة في الواقع».

تمتم: «انتظرت هذا اليوم بفارغ الصبر».

مالت إليه، تغرق في ظلمة أحاسيسها.. تعقد ذراعيها وراء عنقه..

***

تزوج قيدل وأورسولا في باريس في نهاية شهر تموز، وقد أخرا الزواج فترة بسيطة لأن قيدل رغب في أن يقضيا أسبوعاً كاملاً كشهر عسل.. وقال لها: سيكون لنا شهر عسل آخر.

أما الشهر الذي سبق زواجهما فكان مجنوناً ولم تكد تراه فيه.

انتقلت أورسولا لتعيش في شقته في هذا الشهر وكانت فترة رائعة للتكيف فهي بحاجة إلى هذا التكيف لتعتاد على فكرة الانضمام إلى عائلة صيتها ذائع في أنحاء أوروبا كلها.

كان قيدل يأتي بسرعة ويذهب بسرعة، وهكذا قضت أيامها في وحدة.

كان حفل زفافهما مدنياً وبسيطاً وعندما سألها قيدل عما إذا كانت تفضل احتفالاً في كنيسة كبيرة.. تحضره عائلته وحشد كبير من الناس قالت إنها تفضله بسيطاً. والسبب بكل بساطة أنها غير جاهزة لمواجهة عائلته.

حدثها عن عائلته: أمه الأرملة نمساوية وهي تعيش في قيينا. في

الواقع، بدا أن كل جميع أفراد العائلة نمساويين حتى دفع بهم تغيير الحدود إلى إيطاليا. . كان منزل العائلة في بلدة «دولوميت» وقال لها إنها ستحبه. . ففيه بحيرة كبيرة. ولكنه لم يضف شيئاً آخر، ثم قال إنه من هناك يدير المكاتب في ميلانو وروما.

قدمت إيما من نيس لحضور الزفاف برفقة رجل. قالت لها: «في الواقع سنكون جيران».

أحست أورسولا، أن زوجة أبيها تنوي البقاء في «نيس» فترة. وكان يوم العرس حاراً ارتدت فيه أورسولا ثوباً حريرياً بسيطاً فيه ورود صغيرة زرقاء وخضراء اشترته من «غاليري لافايت» الضخم المؤثر وما سهل لها ذلك، المبلغ الضخم الذي وضعه ڤيدل في حسابها المصرفي، لقد قال لها:

ـ إنه من الملائم أن يكون لك السبيل إلى مالنا.

حاولت الاحتجاج فما زالت تستغرب فكرة أخذ المال منه. ويبدو أن مشاعرها ظهرت على وجهها لأنه بدا ضجراً من الموضوع وأضاف:

ـ سأغيب عنك كثيراً أورسولا. . وهذا يعني أن من المنطقي أن تسددي فواتيري بنفسك في أثناء غيابي واعلمي أن ذلك سيدفع عني بعض الضغط.

وهكذا اشترت الفستان وما يحتاج إليه من إكسسوارات. عندما شاهدها ذلك الصباح نظرت إلى عينيه وما شاهدته فيهما كان يساوي كل شكوكها مجتمعة.

همس حين جاءت السيارة لتقلهما إلى مكان الزفاف:

ـ تبدين جميلة. .

ودت أورسولا لو يطول هذا اليوم الذهبي إلى الأبد. لكنه لم يدم إذ انتهت المراسم بسرعة، وخرجا ثانية إلى حيث الشمس المشرقة.

في الخارج لاحظت أورسولا شخصاً ما يصورهما بكاميرا متطورة



وقرب هذا الشخص مراسلتان تحملان أوراقاً سألتها إحداهما بالإنكليزية عما إذا كانت قد صنعت الفستان بنفسها فسارع ڤيدل إلى دفع عروسه الجديدة إلى داخل السيارة قبل أن ترد. . واتسعت عيناها الخضراوان دهشة وغضباً:

ـ أسمعت ما قالت؟ أيبدو أنني صنعت الفستان بنفسي؟ لو تعلم كم ثمنه. .

ضحك ڤيدل بلطف، يلف ذراعه حولها:

ـ لا تنسي أنهم يعرفون أنك طالبة فنون. . وربما ظنوا أنك تدرسين تصميم الأزياء.

ـ لكن كيف عرفوا أنني طالبة فنون؟ ولماذا يهتمون بهذا؟

بدت الحيرة والجد على تعابير وجهه فرفع يدها يلثمها ولكنه ظلّ صامتاً.

تنهدت أورسولا تنهيدة طويلة ثم شقا طريقهما إلى الفندق لحضور حفل الاستقبال بمناسبة زفافهما. . هل ستكون حياتها دائماً غنية بمثل هذه المفاجآت؟ جلست صامتة تحدق إلى ما هو أمام رأس السائق. .

بات كل شيء مختلفاً. . ذهب الطيش وجاء وقت الحقيقة. ترى هل ستكتشف قريباً ما هو نوع الرجل الذي تزوجت به؟

* * *

## ٥ ـ صديقة وعشيقة

كانت قمم الجبال المكسوة بالثلج مظللة بأشعة الغروب الحمراء. هكذا بدت القمم في الطائرة النفاثة الخاصة الصغيرة.. تطلعت أورسولا بذهول إلى الجوهرة الزرقاء الرائعة. إنها أروع بحيرة تراها. تابعت الطائرة هبوطها، وأصبح المنظر أروع الآن، فحول البحيرة ارتفعت الجبال. كان هناك قرية صغيرة رائعة.

قالت من بين أنفاسها: «إنها جميلة».

فقد حدثت أمور كثيرة منذ زفافها في الصباح.. ولم تكن لتصدق أن من الممكن أن يقوم الإنسان بهذا كله في يوم واحد.

قاما برحلة جوية إلى «انسبروك». وفي انسبروك وجدت طائرة نفاثة خاصة تنتظرهما لتقلهما شمالاً فوق «برينر» في إيطاليا... وها هما الآن في «دولوميت» وفوق بحيرة فيرنو المرتفعة.

تساءلت أورسولا أين ستحط الطائرة. ثم نظرت من فوق كتف الطيار، فشاهدت منبسطاً من الأرض إلى جانب البلدة.. وهناك نهر.. وملعب غولف.. طاقت الطائرة الآن فوق أسطح المنازل..

كان أمامهما مباشرة مدرجاً. راحت الطائرة تحط ببطء على المدرج. وجدت بانتظارهما سيارة وهذا أمر متوقع ولكن ما لم تكن تتوقعه هو أن تقلهما السيارة إلى مرفأ صغير حيث يقبع فيه مركب سريع.



ـ لا أصدق هذا. أتعني أنك تعيش هنا؟

وأشارت إلى البحيرة التي تقبع في وسطها بقعة خضراء هي جزيرة صغيرة بين المياه الزرقاء.

ابتسم قيدل: «إنها مفاجأة».

ـ مفاجأة!

أرادت أن تحضنه.. ولكن، أيتوقع قيدل زاراكوتشي مثل هذا التصرف من زوجته في العلن؟ وكان أن تراجعت وعندما ساعدها على الصعود إلى المركب لم تفعل إلا الضغط على أصابعه.. بدا لها هذا كافياً، فقد التقطت عيناه الزرقاوان عينيها في لحظة سحرية، خاصة بهما.

قال وهو يمرر أصابعه على وجنتها:

ـ أنت متعبة.. كان يوماً طويلاً.. ولكنني كنت مضطراً للعودة بك رأساً إلى هنا.

انطلق المركب بهما.. فجأة أحست أورسولا بأنها انتُزعت من عالم الواقع. وابتعدت عن البلدة الصغيرة بمقاهيها وفنادقها الملونة، وأصبحت على مقربة من الجزيرة الخضراء الباردة. أحست أنها عالقة ما بين حياتها القديمة، وحياتها التي تلوح أمامها... شعرت برغبة في الوثب من المركب لتسبح إلى الشاطىء.. ولكنها لا تجيد السباحة.

أدارت ظهرها إلى البلدة الصغيرة لتستقر عيناها على قيدل، الجالس مستريحاً في مقدمة المركب، هذا هو زوجي.. همست بصمت لنفسها.. هذا الرجل الطويل الرياضي الذي تحرقها عيناه وتعيدانها حية والذي تجعلها لمسته تحب الحياة هو زوجها وحبيبها.. حبه الرائع يدفعها إلى ما وراء الحدود الروحية والنفسية لهذا العالم، إلى ما لا اسم له أو زمن، أو حدود.. حيث ستبقى إلى الأبد...

حرّك نسيم عليل شعره الأسود.. ولكنه يختلف الآن عن الأوقات التي كانا فيها معاً من قبل.. ولم يكن هذا مجرد خيال. إنه الآن في موطنه.. حاولت أن تتذكر ما قاله لها عن عائلة زاراكوتشي.. العائلة التي ذكرها بفخر. وها هي الآن جزء من تلك العائلة.. لقد قال لها إنه يرغب في ولد بأسرع وقت ممكن. إنما لماذا؟ ألا يكفيهما حبهما فترة ما؟ ولماذا يعيش بين الجبال المرتفعة وسط بحيرة، في الوقت الذي يستطيع فيه العيش في ميلانو أو روما؟ قال لها: كنت مضطراً للعودة بك رأساً إلى هنا. فلماذا؟ قررت أن تسأله فيما بعد، حين يصبحان وحدهما.

كان يقف بباب غرفة ملابسه عندما قال جواباً عن سؤالها:

ـ ماذا تقصدين؟ أليس عليّ أن أحملك رأساً إلى هنا؟ هذا منزلي أورسولا.. منزلنا.

كانت أورسولا تفتش الأدراج بحثاً عن ملابس نومها.. هزت كتفيها ترد عليه:

ـ أعني.. أظهرت الأمر وكأنه في غاية الأهمية، ثم قررت الوصول إلى هنا الليلة.. ليلة زفافنا.. بدلاً من البقاء في باريس والسفر إلى هنا في الغد.

ـ إنها..

فتش عن الكلمة المناسبة: «التقاليد».

انتزع ربطة عنقه، وفك أول زر من قميصه وهو يدخل إلى غرفتها..

ـ تقضي عرائس عائلة زاراكوتشي ليلة زفافها في القلعة.

ـ القلعة؟ أية قلعة؟

بدا دهشاً من سؤالها.. وكأن الجميع يجب أن يعرف بالقلعة:

ـ ألم تشاهدي الخرائب من المركب؟



هزت أورسولا رأسها.. ولكنها كانت قد شاهدت لوحة مسمّرة في شجرة متدلية فوق الماء.. في الواقع لوحتان، كلاهما بالألمانية والإيطالية، والإنكليزية.. عليهما كتابة واضحة: أملاك خاصة.. ابتعد! لا شك أن قيدل زاراكوتشي حريص جداً على أملاكه.

ـ القلعة مدمرة.. إنها قصة طويلة..

كانت أورسولا مشوشة وتعبة ومضطربة. ولكنه لم يخبرها عن القلعة.. قلعة زاراكوتشي! هذا يعني أنهم عائلة أرستقراطية عريقة في الأصالة.. آه ولكن أين ملابس نومها؟ إنها تبحث منذ فترة عنها ولا تجدها. ما أغرب أن يوضب لها آخرون ثيابها.

سألها عندما دخل إلى الغرفة ثانية:

ـ ما بك.. صغيرتي؟

ـ لا أدري ما فعلوا بملابس النوم.

تقدم ببساطة إلى السرير وجذب الغطاء، وهناك كان ثوب نومها وهو غيمة بيضاء من «الدانتيل» الناعم.

تنهدت.. غاضبة من نفسها لأنها لم تفكر في الأمر من قبل وشعرت بالارتباك لأنه يعتبر كل هذا من المسلمات.. تقدمت لتأخذ ثوب النوم، ولكنه أوقفها وأمسك وجهها بين يديه:

ـ سيزول الاستغراب بعد قليل..

تذكرت لوحة «موندريان» المعلقة في شقة باريس وحاولت الابتسام.

عاد إلى حمامه ليستحم، وخلعت أورسولا ملابسها بسرعة وتوجهت إلى حمامها.. وقفت تحت المياه الباردة المنعشة. لقد ولى اليوم السحري، ولت باريس والزفاف والرحلة في الدرجة الأولى، والطائرة الخاصة، والمركب والبحيرة والفيللا..

عندما لمحت الفيللا للمرة الأولى كانت بين الصنوبر. وكان قيدل

يمسك يدها ويقفان في مقدمة المركب متمسكين بالحاجز. . في البداية شاهدت سقوفاً حمراء مختلفة المستويات. . ثم شاهدت الجدران البيضاء والنوافذ الخشبية والشرفات الغنية بالورود. كان الجزء الأول من المنزل برجاً، والجزء الآخر حديث المظهر وهو يطل على البحيرة. ثم رأت حديقة متدرجة تتصاعد نحو المنزل، الذي أصبح مرئياً حالما أصبح المركب على رصيف المرفأ. كانت الأضواء مشعة من النوافذ والشرفات مضاءة.

وجدت أناساً كثيرين باستقبالهما وكانوا جميعهم يرحبون بهما ويبتسمون لهما.

أخيراً قادها إلى غرفة الاستقبال الأنيقة. . حيث استطاعت أن ترى حقائبها محمولة إلى الداخل. ففكرت أنها ستستغرب حياتها الجديدة فهي غير معتادة على أن ينوب عنها أحد في ترتيب أغراضها.

جال قيدل بها بسرعة في أرجاء المنزل، وعندما وصلا إلى غرفة نومها قال لها بفخر إنها تطل على أجمل منظر في الفيللا كلها. . ثم أرشدها إلى غرفة الملابس، التي تقع خلفها غرفته. وبدا على وجهها إمارات الذهول فضحك عليها.

- إنها الوضع الأنسب. فلربما عدت متأخراً، أو عملت حتى وقت متأخر. ولكنني لن أقضي إلا القليل من الوقت هناك.

وشرح لها أن غرفتها هي التي سيستخدمانها.

تناولا العشاء على ضوء الشموع، وكان الخدم قد اختفوا تاركين العروسين بمفردهما. اختارت أورسولا لهذه الليلة بلوزة بيضاء مفعمة بالأنوثة، وتنورة من الكشمير. كان النسيم يلصقها بساقيها ويقسّم حنايا جسمها الذي تنيره الأنوار من الداخل. . بدا قيدل سعيداً بها وهما يقفان أمام حاجز الشرفة. . .

كانت تظن أنها لن تجد مزيداً من المفاجآت هذا اليوم ولكنها



كانت مخطئة لأنه أخرج من جيب سترته علبة صغيرة. علبة مجوهرات، في داخلها قلادة ذهبية فيها لؤلؤة دافئة. وضعها حول عنقها وثبتها هناك، بأصابع ناعمة ثابتة، ثم قبلها وهي تتلمس القلادة. . وبدا لها كل شيء لطيفاً وبسيطاً. . ومناسباً.

قال لها هامساً:

- لا ترتدي الألماس أبداً فأنت لا تحتاجينه. . سأشتري لك اللؤلؤ والذهب. . دائماً.

خرجت أورسولا الآن من تحت المياه الباردة ولفت جسمها بمنشفة سميكة. شعرت بحركة ما فاستدارت بسرعة. إنه قيدل. . ومن سيكون سواه، كانت عيناه الزرقاوان مشعتين فيهما تتراقص شياطين صغيرة. . نظر بإعجاب إلى شعرها الأشقر القصير وإلى حاجبيها المقوسين وإلى عينيها الخضراوين الخجولتين اللتين تحركان فيه ناراً متأججة. رأت جيداً مدى سعادته ببشرتها الخفيفة السمرة التي تغطي كتفيها واقترب منها. .

تناهى إليهما رنين لجرس الهاتف. فتأوهت أورسولا. . . ثم راحت قدماها تبحثان عن الأرض ولكنها أحست بيد قوية دافئة تلتف حول خصرها وسمعت صوته يتمتم: دعيه وشأنه!

وقعت إلى الوراء فوق الوسائد، تضحك من نفسها. . تندس فيه، تحس به يتحرك مستيقظاً. . وقالت:

- لكنه ما زال يرن. . إنه في غرفتك.

التفت ذراعه حولها: «قلت اتركيه وشأنه».

ووجدت يده مستقرة على صدرها. . ثم عاد يغط في النوم. وابتسمت أورسولا برضى لأنها تعلم أن اليوم سيمتد أمامهما بدون توقيت أو ساعات. . لكن الهاتف ما زال يرن. . .

حركت يدها على ذراعه ببطء، مداعبة:

ـ ألن يرد عليه أحد في الطابق السفلي؟

تمتم: «لا، إنه خط خاص»..

ـ إذن، أليس عليك أن ترد؟

ـ لست في غرفتي.. أحب مكاني هنا.. ولا رغبة لي في الذهاب إلى الغرفة الأخرى في الوقت الذي تنام فيه زوجتي في هذا الفراش.. فأنا أريدها.. الآن.

همست وعيناها تبرقان: «هذا واضح حبيبي».

في هذه المرة لم يكن هناك انتهاء للزمان أو وصول إلى عالم آخر.. إنما كان هناك عذوبة مميزة يتشاركان فيها وسادة واحدة... رن جرس الهاتف مجدداً بعد نصف ساعة ولم يسمعه أي منهما.

كانت الغرفة تشع بأشعة الشمس حين استيقظت أورسولا مجدداً.. كان الوقت متأخراً، متأخراً جداً.. وڤيدل ما زال غارقاً في سبات عميق.. تسللت من الفراش، وارتدت فستان نومها، الذي وجدت صعوبة في إيجاده، وخرجت إلى الشرفة، فاغرة فاها، مذهولة أمام المنظر الساحر الذي كان ينتظرها.. سماء صافية، بحيرة زرقاء، وجبال واسعة. تناهت إليها أجراس كنائس الأحد خفيفة بعيدة.. غامضة وكأن لا زمان لها..

جذبت حركة ما على الشرفة السفلى اهتمامها. شخص ما يحضر الفطور لشخصين.. فتسللت إلى الطرف الآخر من الشرفة لأنها تخجل إن رآها أحد بثياب النوم.. ولكن عليها أن تعتاد على ما يحيط بها من خدم كما عليها أن تتعرف إليهم، وعليها أن تتعلم كيف تدير منزل ڤيدل..

عاد الهاتف إلى الرنين، وأدركت أورسولا أنها تقف خارج أبواب غرفة ڤيدل الخشبية.. ولو استمر الرنين لأوقظه.. انفتحت الأبواب بسهولة، وتسللت إلى الغرفة الباردة المظلمة إلا من شعاع ينفذ من



الفتحة التي دخلت منها. أمسكت بالسماعة، وقبل أن تقول شيئاً، سمعت امرأة تقول بالإيطالية بصوت عميق مثير.

ـ ڤيدلو.. كارا.. حبيبي..

ثم ضاعت كل الكلمات المثيرة الإيطالية عن فهم أورسولا.

قالت بصوت متوتر:

ـ أوه مومنتو.. لحظة واحدة.

تمكنت أخيراً من استخدام الكلمتين الإيطاليتين اللتين تعرفهما. وضعت السماعة من يدها، ودخلت إلى غرفة الملابس إلى حيث كان ڤيدل يتحرك في نومه. شاهدت يده تمتد بحثاً عنها.. فحاولت ألا تظهر الاهتمام.. ولكنها تذكرت ما معنى كلمة «كارا».

ـ هناك مخابرة لك.

لقد نادته «ڤيدلو».. ولم تكن تتكلم الإلمانية كأهل هذه المنطقة.. أهي المرأة التي كانت في روما؟

دخلت إلى حمامها، تقفل الباب وراءها، تلتقط منشفتها وروبه عن الأرض وتفتح الحنفية لأنها لا تريد أن تسمع شيئاً.

عندما خرجت وجدته يتابع كلامه الهاتفي. التقطت فستاناً صيفياً أخضر اللون كانت ترتديه في اليوم الأول الذي تقابلا فيه في اللوڤر.. بدا لها الوقت الذي مر بها عمراً كاملاً.. لكن.. ماذا كان فعلاً؟ مجرد شهرين.. من الواضح أن زمناً سيمر قبل أن تكتشف كل النساء في حياته أنه لم يعد متوفراً لهن.

حين عاد إلى غرفتها، كانت تجلس أمام طاولة الزينة تدلك كتفيها بواق من أشعة الشمس.. ووقف بالباب للحظة، طويلاً، فخوراً. في الشهرين اللذين عرفته فيهما كان اسمراره قد أصبح برونزياً ذهبياً. وتذكرت أنه قال لها: أتتني السمرة من روما! التوت معدتها بألم من نوع جديد. مع ذلك، كانت عيناها في المرآة تستمتعان بطوله

ورجولته.. تقدم ليقف خلفها، متناولاً الأنبوب من يدها وراح يدلك ظهرها.

قال، وفي صوته بعض الخشونة:

ـ إنها صديقة.. تقول إنه كان عليك الانتظار قليلاً، فهي تتقن الإنكليزية.

نظرت إليه في المرآة، ولكن عينيه لم تبارحا ظهرها: «لم أكن أعرف».

ـ لقد جاءت إلى الجبل لقضاء الصيف، فروما حارة جداً.

تقلصت معدتها مجدداً: «روما؟».

ـ سي..

ما زال مأخوذاً باللغة التي تكلم بها منذ قليل. التقطت أورسولا أحمر الشفاه:

ـ ألم تتأخر في ترك روما؟ إننا في أواخر تموز.

هز كتفيه: «آه، رونا تسافر إلى المكان الذي تريده.. لقد عادت لتوها من سويسرا».

ـ رونا.. اسم جميل.

ـ لديها فيلا قرب «مورانو» على بعد نصف ساعة من منزلنا.

قالت بخفة: «إذن أتوقع رؤيتها عما قريب».

أعاد قيدل غطاء الأنبوب إلى مكانه بشدة، ثم وضعه على الطاولة هازّاً رأسه هزة مشدودة غير راضية، ثم اتجه إلى الحمام استعداداً لارتداء ملابسه.

لكن المخابرة تلاشت من ذهنها في الأسبوع التالي الرائع.. الأسبوع الذي استطاع فيه قيدل البقاء حراً.. قاما برحلات تحت ضوء القمر في يخته الكبير. واستلقيا على الصخور الملساء الدافئة حول شاطئهما الخاص.. وأراها الجزيرة، وقضيا طوال عصر أحد الأيام



وهما يكتشفان أعماقها الخضراء الباردة.. ووجدت أن ليس هناك ما تبقى من القلعة العتيقة.. ولم يخبرها ما حدث لها، وهي لم تسأله..

سبحا معاً في كهوف تغمرها المياه، حيث لا يزيد ارتفاع الماء عن بضع أقدام. ولكنه حذرها من السباحة في مكان آخر لأن المياه عميقة الغور في كل حدب وصوب. سارا بين الأشجار في ممرات تحف بها الشلالات.. وراقبا النسور تطوف فوق رأسيهما في كبد السماء.. كان أسبوعاً جميلاً ستبقى ذكراه إلى الأبد، غنياً بأماكن جديدة، وبتجارب جديدة.. وبقيدل ولياليّ حبه وغزله. ولكن ما أسرع ما عاد الأحد.. ثم جاء صباح الاثنين.

استيقظت أورسولا ببطء، تتدحرج فوق السرير وتمد يدها إليه. لكن السرير كان خاوياً.. يا إلهي.. انظري إلى الساعة.. لقد تجاوزت التاسعة! إنها تزداد كسلاً.. ثم وهي تكافح لتقف شاهدت مذكرة قرب المصباح.. لقد سافر قيدل إلى ميلانو. ولم يشأ أن يوقظها.. ولا يعرف متى يعود..

تناولت فطورها وحيدة، تحس بالشوق إليه.. كانت على الشرفة تتناول فطورها عندما جاء ديلغي حاملاً الهاتف ورفع لها السماعة، وقال بابتسامة دافئة:

ـ الكونتيسة رونا دوراليس.

أحست أورسولا بالراحة لأن أحد الخدم يتكلم شيئاً من الإنكليزية.

شكرته أورسولا، وأحست بقلبها فجأة بين قدميها.. الكونتيسة..! يا الله!.. لماذا لم يقل قيدل لها هذا! ولماذا هو ليس هنا؟ انتظرت حتى ابتعد ديلغي.. كيف يخاطب المرء كونتيسة يا ترى؟

قالت بهدوء بارد، يا للعجب:

ـ أنا أورسولا زاراكوتشي.

تناهى إليها الصوت الدافىء العميق:

ـ أنا رونا دوراليس.. ما أروع التحدث إليك أخيراً عزيزتي أورسولا.. هل أخرجتك من فراشك؟

ـ لا أبداً.. ما ألطفك أيتها الكونتيسة لأنك اتصلت بي.

ـ رونا.. أرجوك.

ـ رونا إذن.. لقد سافر قيدل إلى ميلانو.

ـ هذا عظيم.. لا؟ فنحن لا نرغب في الرجال حولنا دائماً؟

يا له من حديث غريب! نقلت أورسولا السماعة إلى الأذن الأخرى:

ـ أعتقد هذا.. أهناك ما أستطيع القيام به من أجلك رونا؟

ـ في الواقع أنا من سيعرض عليك المساعدة.. فأنا وقيدل صديقان حميمان.. وأعرف أنه يود لو نصبح صديقتين أيضاً.

ضحكت قليلاً: «أنا أعرفه. هل شرح لك كل شيء عن الفيللا.. وعن الموظفين؟ أتتكلمين الألمانية أم الإيطالية؟»

ـ أخشى أني لا أعرف أياً منهما.

ظهر التعاطف في صوت الكونتيسة:

ـ إذن، يجب أن نتكلم بمفردنا. فالرجال لا يرغبون في إزعاج أنفسهم بمثل هذه الأمور.. سأزورك اليوم؟ أجل؟ للغداء ربما؟ وعندها سنتحدث قليلاً...

صمتت قليلاً تفكر في الكلمة المناسبة:

ـ حديث فتاة إلى الأخرى. وسأساعدك في تحضير الحفلة.

ـ حفلة؟ أية حفلة؟

ـ أوه.. هذا مؤسف جداً.. الرجال لا يفكرون.. إنها حفلة لاستقبال العروس الجديدة.

ـ لكن، لا حاجة لنا بها.. أنا لا أحتاج إلى حفلة..



ظهر شيء من التوبيخ في صوتها وهي تقاطعها:

ـ لكنها حدث متوقع عزيزتي أورسولا.. لا تقلقي.. سأساعدك في تنظيم أمورها. أراك لاحقاً.. أجل؟ حوالي الساعة الواحدة.

تمتمت أورسولا: «أجل، جيد».

ودعتها، وأعادت السماعة ببطء.. في الواقع، يجب أن تكون ممتنة لوجود امرأة أخرى تتحدث إليها، وتشرح لها الأمور. هل هذه هي الكونتيسة التي كانت مع قيدل حين اتصل بها في باريس؟ لكن روما مليئة بأمثالها.. ولا شك أن لديه صديقات عديدات.

نادت ديلغي وأخبرته بأن الكونتيسة قادمة للغداء.

في هذا الوقت وصلت زوجة ديلغي التي سمعت ما قالته أورسولا عن قدوم الكونتيسة فقالت شيئاً بالألمانية، وأسرع ديلغي يترجم ما قالته زوجته:

ـ تقول زوجتي إنها تعرف ما يُعجب الكونتيسة من أطعمة وهي مستعدة لتحضير وجبة اليوم حتى تعتادي..

تنفست أورسولا الصعداء، ولكنها لاحظت مما جرى من حديث، أن الكونتيسة زائرة دائمة.

أضاف ديلغي:

ـ ترغب زوجتي أيضاً في معرفة موعد وصول خادمتك الخاصة.

تساءلت في نفسها: وهل يجب أن يكون لها خادمة خاصة؟ ولكن لماذا؟ سحبت نفساً عميقاً.. هذا منزلها، وهذه حياتها، ويجب أن يعتاد الجميع على إدارة الأمور على طريقتها.

ابتسمت لديلغي: «هلا قلت لزوجتك إنه ليس عندي خادمة ولا أحتاج إليها. ثم اشكرها نيابة عني لأنها ستقوم بإعداد الطعام».

ثم ابتسمت لهما فانصرفا.

أمضت أورسولا الصباح في رسم تخطيط حدود الجبال وحدود

البحيرة.

حمل إليها ديلغي إبريقاً من الليموناضة الباردة وارتشفت قليلاً من كوبها الذي وضعه لها على طاولة صغيرة ثم وقف وراءها ينظر بانتقاد إلى اللوحة:

ـ هل ورثت الموهبة عن والدتك؟

دهشت أورسولا واستدارت تنظر إليه، تمسك بقبعتها:

ـ وكيف عرفت؟ هل أخبرك فيدل شيئاً؟

هز كتفيه قائلاً: «الموهبة لا بدّ أن تأتي من شخص ما».

ثم قفل راجعاً إلى المنزل فنظرت إليه أورسولا حائرة. من الواضح أن فيدل أخبره فما العيب في ذلك؟

عادت إلى رسمها، لقد وعدت نفسها أن تعود إلى المنزل بعد الثانية عشرة.. ولكنها نسيت الوقت ولم تنتبه حتى سمعت أخيراً وقع أكعاب رفيعة تتقدم منها.

قفزت واقفة وعيناها متسعتان.. النساء الإيطاليات مشهورات بأناقتهن.. ولم تكن رونا دوراليس شاذة عن هذه القاعدة. كان فستانها من الحرير الأحمر. رونا امرأة جميلة قوامها رائع، شعرها أسود. جعلها جسمها تشعر بأنها مجرد تلميذة أمامها.

احمر وجهها، وكرهت نفسها.. قامت بجهد فائق للقاء رونا دوراليس بابتسامة مشرقة:

ـ يا الله! كونتيسة.. لم يكن لدي فكرة عن الوقت! آسفة لأنني لم أستقبلك على رصيف المرفأ.

ومدت يدها، لكنها وعت متأخرة، أن يدها ملطخة بالدهان.

لم يفت الكونتيسة شيئاً ولم يغب عن عينيها السوداوين الدعجاوين الجسد الطويل النحيل والشعر الأشقر أو الشورت القصير، والتي شيرت، وقبعة القش القديمة.



افترّت شفتاها ببطء عن ابتسامة راضية.. وتظاهرت أنها لم تَرَ اليد الممدودة، وتقدمت لتقبل أورسولا على وجنتيها.

ـ الآن أجبت عن أسئلتنا، تساءلنا جميعاً عن سبب عجلة فيدلو الحبيب للزواج.. فأنت فاتنة وصغيرة.

كان في صوتها لمسة.. ماذا؟ تسلية أم ضغينة؟

ـ ما أروع اللقاء بك أخيراً.. واثقة أنا من أننا سنصبح صديقتين.. حبيبي فيدلو رجل محظوظ جداً.

تمتمت أورسولا قائلة:

ـ أرجو أن تطلبي من ديلغي أن يحضر لك شراباً ريثما أبدل ملابسي.

ثم توجهت إلى المنزل ولكن قلبها كان في أثناء الطريق يبرد أكثر فأكثر فهي ليست بحاجة إلى محللة نفسية لتقرأ ما بين السطور.. أو لتفهم تلك النظرة الخاصة في عيني رونا دوراليس، وهي تلفظ اسم فيدل.

وفيما كانت تبدل ملابسها توضحت لها معالم الوضع الجديد.. لا بد أن الكونتيسة وفيدل كانا عشيقين.. الكونتيسة والمرأة في روما شخص واحد.

فأيهما يا ترى أنهى العلاقة.. ومتى؟

* * *

# ٦ ـ زوجي ليس لي

بقيت الكونتيسة هناك طوال العصر، بدا جمالها في غير مكانه في جبال وبحيرات «آلتواريغو».

قالت رونا وعيناها السوداوان الدعجاوان تبديان عدم الرضى عن ثياب أورسولا البسيطة:

ـ سأقدّم لك إن سمحت نصائح بشأن ملابسك واختيارها. أرجو أن يؤمن لك ڤيدل نفقات كافية.

أمضتا العصر في مناقشة أمر الحفلة، وقالت تقترح:

ـ سأكتب لك لائحة بأسماء المدعوين.. ولكن عليك أن تقرري ما إذا كنت تريدين أن يحضروا جميعهم.

ثم تحدثت عن الملابس مجدداً ذاكرة أن على أورسولا اختيار ثوب مميز للحفلة.. كانت أورسولا طوال الوقت تبتسم وتهز رأسها موافقة مع ضيفتها الأنيقة، فلا مجال للإنكار أنها قد تساعدها فڤيدل يتوقع من زوجته أن تحسن التصرف كما يتوقع أن تختار مصممي الأزياء المعروفين، وتدعو الناس المناسبين... ويجب أن تكون ممتنة. ولكنها لم تستطع أن تخلص نفسها من الإحساس بعدم الثقة... أمن الطبيعي أن تناقش العشيقة السابقة الأمور مع الزوجة الجديدة بكل هذه السعادة؟ هذا ما يعني أن رونا إما لا تمانع في خسارة ڤيدل وإما أنها لم تخسره حتى الآن!



لم يمضِ وقت على ذهاب الكونتيسة حتى اتصل ڤيدل قائلاً إنه مضطر للبقاء في ميلانو ثم سألها كيف قضت يومها فضحكت بإشراق مبالغ فيه وأخبرته أنها استقبلت ضيفة.

ـ من؟

رنّت الكلمة كالسوط في الهاتف وحين أخبرته، قال بحيرة:

ـ وماذا تريد؟ هل قلت لها إنني مسافر؟

لماذا غضب؟ ألا يريد أن ترى أحداً؟ أم أنه لا يريد منها أن تقابل هذه المرأة بالذات؟

***

سارت على طول الشاطىء المفروش بالحصى. كانت الجبال المحيطة بها تنعكس صورتها على مياه البحيرة الزرقاء. قعدت على صخرة كبيرة تراقب المراكب الشراعية فلفت نظرها يخت صغير، ذو أشرعة بيضاء وزرقاء راح يتجه نحوها.. راقبته وهو يقترب.. كان في الواقع مركباً صغيراً على متنه رجل واحد.. ولم تمضِ برهة حتى اتضح لها أنه يوشك أن يرسو.. ألم يشاهد لوحة التحذير بالابتعاد؟

توجّه المركب الصغير مباشرة إلى الشاطىء، لا شك أن مالكه يظن المكان له وحده.. فلا مجال لرؤية الفيلا من هنا.. وتساءلت عما إذا كان عليها أن تتقدم منه لتقول له إنها أملاك خاصة... ولكن ما الداعي.. إنها جزيرة كبيرة وهناك مجال كبير لكليهما وفي الواقع ما أروع ما سيكون التحدث إلى شخص ما.

فجأة، قفز الرجل إلى المياه الضحلة يدفع المركب الشراعي الصغير إلى الشاطىء.

بدا لطيفاً، شاباً، في الخامسة أو السادسة والعشرين، أسمر اللون، أسود الشعر. كان يرتدي ثوب سباحة أبيض يبرز رشاقة جسمه

الطويل.

راقبته وهو يمدد ويلوي ذراعيه ناظراً إلى ما حوله بكسل، ثم رأته يرمق الفيلا بنظرة سريعة.. هذا يعني أنه يعرف طريقه جيداً؟ ثم عاد إلى المركب متناولاً منشفة وسلة للنزهات، انتظرت أورسولا حتى حضّر كل شيء ثم تسللت من مخبئها وتقدمت إليه.

التفت إليها بحدة ودهشة ثم ببهجة. بدأ سيلاً من الكلمات الإيطالية فهمت منها أنه يعتذر لتطفله ويسألها الغفران. نظرت إلى عينيه السوداوين الجميلتين وقالت:

ـ أتتكلم الإنكليزية؟

شعرت بأنها رأته من قبل، ورمى يديه في الهواء غبطة:

ـ سي.. أجل.. ألن تطردني؟ أريد فقط أن أستلقي تحت أشعة الشمس ثم أتناول الغداء.. ربما ترغبين في الانضمام إلي؟

هزت رأسها ولكنها تذكرت أنها زوجة قيدل، وهذا يعني أن عليها ألا تشجع متطفلاً.

ـ يستحسن أن تغادر المكان حالما تنتهي وجبتك وسأتظاهر بأنني لم أشاهدك.

احتج بعينين حزينتين.. ومع أنها ضحكت على حزنه المفتعل، إلا أنها لاحظت مرحاً خبيثاً في صوته وقررت أنه قد يكون بالفعل مرحاً، ورفيقاً جيداً.. ولكنها بعد تردد بسيط تركته.

لم تفكر أورسولا بالحدث حتى صباح اليوم التالي عندما كانت تتناول الفطور على الشرفة. في هذا الوقت اتصل بها قيدل ثانية ليقول إنه سيغيب بضعة أيام أخرى بسبب بعض الأعمال المتراكمة. بدا الفراش الكبير فارغاً بدونه ولكنها الآن وفيما كانت تحتسي العصير، شاهدت المركب مجدداً، ثم شاهدت شراعاً صغيراً لونه أزرق وأبيض.



قررت السباحة فاندفعت إلى غرفتها لترتدي ثوب السباحة. أخذت قبعة شمس ومنشفة وواقياً من أشعة الشمس. عليها ألا تفعل ذلك طبعاً لأن قيدل لن يوافق ولكن ماذا عنه؟ كم من النساء الجذابات سيلتقي بهن في ميلانو وڤينيا؟ فكرت فجأة في الكونتيسة فشعرت بالسرور لأنها هنا في الجبل عوضاً عن أن تكون حرة في مكان ما مع قيدل.

كان المركب يرسو على الشاطىء عندما وصلت أورسولا إلى هناك. في البداية تظاهرت بالدهشة والغضب لغزوه شاطئها الخاص مجدداً، ولكنه ابتسم لها، ومد لها يده يعرفها بنفسه فقال إن اسمه ريكو دوربانو.

قالت له أورسولا، بدون أن تذكر اسمها:

ـ هذا هو المكان الوحيد في الجزيرة الذي أستطيع السباحة فيه، فالمياه عميقة الغور في ما سواه.

وعدها ألا يكلمها أو يقترب منها وأبعد منشفته وسلة طعامه إلى الناحية الأخرى من الكهف الصغير، وهذا لم يكن بالضبط ما خططت له أورسولا.. لكنها لم تستطع فعل شيء.

بعدما سبحت لبعض الوقت تقدم منها ريكو يعرض عليها زجاجة مرطبات باردة.. وكانت مسرورة بقبولها، هكذا وضعا منشفتيهما في الظل، وراحا يرتشفان العصير.

راح ريكو يحدثها عن نفسه قائلاً إنه هنا في عطلة يقوم بالسباق في القوارب السريعة والمراكب القوية المحرك.

ـ لماذا لا تسابق الآن؟

نظر إلى البحيرة، ثم ابتسم:

ـ أصيب مركبي بحادث.. وأحتاج إلى مركب جديد.. ومن المعروف أن شراء مركب جديد أمر باهظ الثمن.

وان صمت غريب ولم تجد أورسولا ما تجيب عنه. أضاف بعد

دقائق يسألها:

ـ المكان موحش. وزوجك مسافر؟

أحست بالذنب ولكنها سارعت تقول له إنها رسامة تقضي وقتها بالرسم.

دعاها مجدداً لتشاركه غداءه وكادت توافق ولكنها تذكرت فجأة أن الخدم سيقلقون عليها إن لم تظهر بعد قليل فقالت:

ـ ولكن، إذا كنت قادماً غداً فسأتناول معك الطعام. سأطلب من الطاهية تحضير الغداء.

ولكنه لم يكن قادراً على المجيء في الغد، واتفقا على يوم الجمعة.. ابتسم، وعيناه تطوفان بقدّها الرشيق.

ـ إذا كان الزوج في المنزل فسأبتعد طبعاً عن الطريق.

غضبت أورسولا وقالت وهي تجمع منشفتها وأغراضها:

ـ وقد لا أتمكن من المجيء على أي حال.

كان اليوم حاراً حقاً.. حضّر ديلغي لها الغداء في غرفة الطعام التي كان فيها مكيّف فسرّ أورسولا دقة ديلغي في مراعاة مشاعرها وحاجاتها.. يجب عليها حقاً أن تطلب من ڤيدل وضع مكيّف في المطبخ.

تناولت وجبتها ببطء تفكر في ريكو كيف عرف أنها متزوجة مع العلم أنها خلعت خواتمها قبل أن تتوجه للسباحة.

ما كان عليها الاتفاق مع البحار المتطفل على موعد للغداء، فصباح يوم الخميس اتصلت الكونتيسة لتقول إن لائحة المدعوين جاهزة. سألتها إن كانت تريد رؤيتها في وقت ما في هذا اليوم.

قالت أورسولا: «هل أنت واثقة أنني لا أزعجك كثيراً؟ أتريدين أن أذهب أنا إليك؟ صباح الغد ربما؟»

وهذا سيمنحها عذراً لئلا تلتقي ريكو.. ردت رونا بسرعة:



ـ لا.. لا.. سأتناول غداً الغداء مع.. صديق..

أي صديق؟ ڤيدل؟ أبعدت أورسولا الأفكار المزعجة:

ـ سآتي اليوم.. وسنقرر معاً ما ستقدمينه من طعام في الحفلة.. اعلمي أنك ستضطرين إلى استئجار خدم إضافيين.

وكان أن جاءت الكونتيسة بعد الظهر، فتناولت الشاي على الشرفة. بدت رونا أكثر جاذبية اليوم في فستانها العاري الظهر الذي يظهر حنايا جسدها بالتفصيل.

ـ لدي اللائحة هنا.

فتحت ورقة كبيرة، أخرجتها من حقيبة صغيرة فحاولت أورسولا ألا تظهر ضدمتها.. وسألت:

ـ كم عددهم؟

ـ مئة.. مئة وعشرون.. لا أذكر بالضبط.

ـ إنه عدد كبير ولكن ألن يأتي زوجك؟

ردت المرأة: «مات دومنيك منذ ثلاثة أشهر».

لماذا لا أتعلم إقفال فمي؟

ـ أوه.. ما أشدّ أسفي!

ـ لا يهم.. كان موته متوقعاً منذ مدة.. فقد كان زوجي أكبر مني سناً.. زواجنا كان زواج مصلحة.

ـ أجل.. وهل لديك أولاد؟

ـ وهل أبدو لك أمّاً؟ لكن هناك من يعوض هذا كله.

ردت أورسولا بصوت بارد جليدي أدهشها هي نفسها: «لا أظنني فهمت قصدك».

ابتسمت الكونتيسة بلؤم، ولمعت عيناها بالحقد:

ـ أتظنين أن هذا كله سيدوم لك؟ الحب.. وشهر العسل.. أتتصورين أن حياتك ستبقى عسلاً إلى الأبد؟

ـ لا . . بالطبع لا . . أعرف أن الأمور تتغير . .

ـ لا تكوني قاسية على نفسك . أنت شابة صحيحة الجسم . . وهذا طبيعي . . لا؟ تستمتعين بزوج في فراشك . . وڤيدلو رائع . . خبير . . كيف تقولين؟ مفعم حيوية!

أحست أورسولا بحمرة الخجل تغزو وجنتيها: «أنا لا أظن . . »

لكن الكونتيسة كانت مصممة:

ـ عزيزتي أورسولا . . سامحيني . . ولكنني اعتقدتك تعرفين أنني وڤيدلو . .

وتركت ما تبقى من الجملة الساخنة الحمراء في الهواء . . تنحنحت أورسولا التي جفت حنجرتها فجأة: «شعرت بأنك وزوجي . . »

ـ آه . . عظيم . . هذا ما ظننته . . ولكنني لا أظنك تتوقعين من رجل مثله أن يكون . . . ؟

ـ ناسكاً؟

ـ سي . . ناسكاً .

وضحكت عالياً من الفكرة ثم أردفت:

ـ وبما أن زوجي لم يكن . . قادراً على المجاملة فقد أصبح من السهل التوصل إلى اتفاق كهذا .

ارتشفت أورسولا شايها:

ـ منذ متى وأنت تعرفين ڤيدل؟ كم دامت علاقتكما؟

ـ التقينا حين كان يسكن في روما قبل وفاة والده . . وفي ذاك الوقت كنت عروساً شابة تشعر بخيبة الأمل . تزوجت لأرضي عائلتي ولأرضي نفسي بطريقة ما . . ولكنني سرعان ما عرفت أن المرأة بحاجة إلى أكثر من الثراء واللقب . . وڤيدلو كان . . متعاطفاً . . ولكنه تغير كثيراً في السنوات العشر المنصرمة بل فلنقل تغير كلانا .



ـ أتقولين إنك كنت عشيقته طوال هذه المدة؟

اتسعت عينا أورسولا الخضراوان ذهولاً وخوفاً . .

ـ وماذا توقعت؟

ـ أعني حتى الآن . . حتى الصيف هذا . . حتى بعد موت زوجك؟

ـ ولماذا نتوقف بعد موت دومنيك؟

سألت أورسولا بصوت مخنوق: «حتى حين كان ڤيدل في باريس؟»

أخفت عينا الكونتيسة ابتسامة سرية .

ـ هناك في باريس، التقاك . . وكان على حق! ستكونين الأم المثالية لأولاده . .

وتحول قلب أورسولا فجأة إلى قطعة ثلج . أماً لأولاده؟ . . إنه الكلام نفسه الذي استخدمه ڤيدل . . وكأنهما خططا لهذا معاً . .

أردفت رونا: «لهذا لا أريد لك أن تتألمي . أنت شابة لم تدعكِ الحياة . وأنا متأكدة أنك كنت عذراء قبل زواجك من ڤيدلو . . . صدقيني، ڤيدلو يحترم مسؤولياته ويقدسها» .

لاحظت شيئاً في عيني أورسولا فصمتت، ثم أضافت:

ـ سيكافئك كونك زوجته وأم أولاده مدى الحياة .

وأشارت إلى الفيلا، ثم إلى البحيرة والجبال:

ـ ولكنك تخطئين إن خلت نفسك قادرة على الاحتفاظ بڤيدلو لنفسك . فبعدما تمر بهجته الجديدة بك فسيتطلع إلى مكان آخر . . عندما يحين وقت تدبير أمر علاقة غرامية خاصة بك .

صمتت أخيراً لأن أورسولا ضربت فنجانها بالصحن فوق الطاولة . . واحترق الغضب الأحمر في عينيها:

ـ وستكونين بلا ريب سعيدة عندما يحصل ذلك لتستردي علاقتك مع زوجي؟ سيدتي الكونتيسة من الأفضل أن ترحلي .



www.elromancia.com

- يا ابنتي العزيزة.. هل قلت شيئاً كهذا؟ هدئي روعك.. قد لا يشرد ڤيدلو قبل سنة، أو سنتين.. وأؤكد لك أنني لست على استعداد للانتظار طويلاً.. تعالي.. لقد أضعنا وقتاً طويلاً.. أين هي لائحة الضيوف؟ سأخبرك بعض المعلومات عنهم.

أحست أورسولا بحواسها مخدرة فأعطتها بخضوع اللائحة، لتصغي إلى ما تقوله.. أخيراً، وبعد طول انتظار، جاء ديلغي يقول إن اليخت جاهز ليقلّ الكونتيسة إلى البر..

- ولم نناقش أمر الطعام بعد أو أمر ملابسك.. ولكننا اتفقنا على الموعد.

ردت أورسولا تذكرها: «إن كان ذلك يناسب ڤيدل».

ضحكت رونا: «يجب أن يكون كل شيء بالطبع مناسباً لڤيدلو».

حضنت أورسولا مودعة وقالت إنها أمضت وقتاً جميلاً وهذا ما لم تشعر به أورسولا البتة.

كاد الفجر أن ينبلج قبل أن تغط في نوم قلق، متوتر.. نوم شابه صورة رونا في أحضان ڤيدل.

صب ريكو لنفسه مزيداً من العصير ونظر إلى جانب وجه أورسولا الشاردة.. كانا قد أنهيا لتوهما غداءهما.. بالأمس قررت عدم تلبية الدعوة ولكن بعدما ما كشفته الكونتيسة، وبعد تلك الليلة المضطربة قررت العكس. أليست هذه هي العلاقة التي ستنقذها إن نفذت رونا ما تريد؟

قال ريكو: «أنت صامتة».

- كنت أفكر..

- هل كدرك أحد؟

- لا.

- أتتساءلين عما يفعله زوجك في ڤينا؟



سألت بدهشة: «كيف عرفت أنه هناك؟»

هز كتفيه وتمدد على منشفته ينظر إلى أصبع قدمه الكبيرة:

- أنت من قلت ذلك منذ يومين.

هل أخبرته حقاً؟ تشك في ذلك.

- إذا كنت تشتاقين إليه، فأنا مستعد..

مد يده يمررها على ذراعها. صفعت يده بسكين كانت تحملها وصاحت به:

- ريكو دوريانو!

صرخ وكأنه يتألم ثم تلوى على الأرض مصدراً ضجيجاً مرتفعاً.. وبعد ذلك راح يقهقه سائلاً عن رأيها بشأن القيام بنزهة على مركبه؟

قالت معترفة: «لست سبّاحة ماهرة».

ضحك بسبب انعدام ثقتها به ثم قال إن الرحلة ستكون لطيفة، وإنه مستعد إن وقع حادث أن ينقذها ويحملها إلى كهفه السرّي حيث سيعيشان سعيدين. ضحكت على خياله الرومانسي متسائلة عن سبب تضييع وقته هنا معها.

أخيراً وافقت على مرافقته.. وكانت رحلة عظيمة.. في البدء مال المركب بطريقة مخيفة وحين لاحظ ريكو اضطرابها سارع إلى إنزال الأشرعة حتى سار المركب بشكل مستقيم.. ولكنه لم يصطحبها إلى مكان بعيد.

سألته أثناء الرحلة عما إذا كان ينوي المشاركة في السباق هذا الموسم فتردد بالإجابة ثم قال إنه سيشتري مركباً جديداً عما قريب.

عندما عادا إلى الشاطىء قالت له: «كانت رحلة رائعة».

لقد سرتها الرحلة.. لكن.. ماذا؟ إنها غير متأكدة من شيء.. فقد رأته تارة منجذباً إليها وطوراً نادماً على وجوده هنا.

وقفت أورسولا تنظر إليه وهو يبحر ولكنها شعرت بالضياع..

وكأنما صلتها الوحيدة بالعالم الخارجي تنسلّ بعيداً عنها.

راحت تتجول متخذة طريقاً وعرة للوصول إلى البيت. أخيراً وصلت إلى سقيفة المراكب قرب الرصيف، وتساءلت عما إذا كان هناك قارب صغير تستطيع أخذه إلى الخارج بنفسها. ولكن القوارب جميعها كانت في الداخل في مكان مقفل. بحثت عن المراكبي فلم تجده، ربما يغط في قيلولة ممتعة. نظرت إلى الرصيف والمراكب وإلى الفنادق والكنيسة وإلى الناس البعيدين جداً فتساءلت لماذا تشعر بأنها واقعة في فخ.

استقبلها ديلغي أمام الباب قائلاً إن ڤيدل اتصل ساعة الغداء ليقول إنه عائد هذه الليلة ولكنه طلب ألا تنتظره.

ظلت رغم ذلك مستيقظة إلى ما بعد منتصف الليل وكانت تنتظر بشوق رؤيته من جديد ولكن رافق شوقها قلق وقلة ثقة بزوجها وما السبب إلا رونا وأحاديثها. ها هي تحس بحاجتها إلى ڤيدل الذي تريد منه أن يبعث في نفسها الطمأنينة بشأن حبه لها.

سألت أورسولا ديلغي الذي دخل إلى غرفة الجلوس ليتأكد من إقفال النوافذ والأبواب الزجاجية.

ـ أتنتظر عادة حتى هذا الوقت المتأخر؟

قال لها إنه لا داعي إلى أن ينتظر أي منهما أكثر من ذلك لأن ڤيدل لا يعود أحياناً قبل الرابعة أو الخامسة صباحاً، وهكذا ذهبت على مضض إلى النوم.

كان الصباح يرسل أشعته حين استيقظت.. مدت يدها آلياً إلى السرير العريض فإذا الغطاء أملس.. إنه ليس هنا!

لا شك أن حادثاً ما قد وقع له. جلست أورسولا مذعورة. هل تحطمت طائرته الصغيرة في الجبال.. لماذا لم يوقظها أحد؟

كانت في منتصف الطريق إلى الباب عندما تذكرت فجأة غرفة نومه



الخاصة. هناك أمل..

حبست أنفاسها مذعورة. سارت على أطراف أصابعها عبر غرفة الملابس المشتركة، ثم فتحت الباب بهدوء. نظرت إلى الغرفة ثم شعرت براحة عارمة بل شعرت أنها توشك على الإغماء. كان ڤيدل هناك مستلقياً على معدته، أحيا منظر كتفيه، وظهره العريضين، ذكرى حبهما العميق.. وفي هذه اللحظة بالذات.. عادت كلمات رونا لتعذبها: «لا تخالي نفسك قادرة على الاحتفاظ بڤيدلو لك وحدك مدة طويلة».

وقفت بالباب تنظر إليه وتفكيرها يعذبها وشكوكها تقتلها. لماذا تزوج بفتاة نكرة مثلها؟

سمعت حركة في السرير، وكأنه أحس فجأة بوجود شخص ما.. تراجعت أورسولا بسرعة لأنها تعلم أن عليها الابتعاد.. والتفكير..

ولكن الباب لم يكن مقفلاً وراءها حين رأته ينقلب في فراشه متمتماً بنعاس:

ـ رونا.. رونا...؟

* * *

# ٧ ـ ضاعت في عالمه

اندفعت أورسولا إلى الغرفة صافقة الباب بقوة قائلة:

ـ لا.. لست رونا.. هذه أنا، أتذكر؟ لقد تزوجتني في لحظة ضعف، منذ خمسة عشر يوماً.. ولكن لا تقلق بشأن الكونتيسة فهي تكاد تعيش هنا في هذه الأيام. وأنا واثقة أن المياه ستعود إلى مجاريها بينكما في وقت قريب.

ـ أورسولا..

لكنها لم تنتظر، بل هرعت من الغرفة حتى قبل أن يرمي الغطاء عنه ويقفز من السرير. ركضت من غرفة الملابس إلى غرفتها ولكنه كان وراءها يمسك ذراعها. تلوّت لتنسلّ من قبضته.. حاول ثانية: «أورسولا حبيبتي».

كان غاضباً ولكنه غضب ممزوج بالتسلية: «لم أكن أعني..»

ارتدت عنه ممسكة بمقدمة روبها: «بالطبع لم تعنِ.. إنها غلطة سخيفة.. لا تقلق.. فأنا أعرف كل شيء».

ـ كل شيء عماذا؟

كان على وجهه عدم الرضى، لا.. ليس هذا ما يتوقعه من زوجته.. لقد اختار زوجة صغيرة عديمة الخبرة مشغوفة به. ويتوقع منها الخضوع بهدوء، فيما يتابع هو مغامراته العاطفية المجنونة.. هل رونا هي الوحيدة؟ ردت بجفاء:



ـ أعرف كل شيء عن علاقتك برونا دوراليس.. منذ خمسة أيام.. ألن تسألني ما إذا كنت حاملاً..؟ لتستريح من إزعاج نفسك بي!

ترقرقت شفتاه غضباً وقال:

ـ لم يحن الوقت لتعرفي.

ـ لكنك لن تنكر سبب زواجك بي.. أليس كذلك؟ ألم تتزوجني من أجل إنجاب الأطفال لك، رد علي.. ردّ علي ألهذا السبب تزوجتني؟

ارتدّ عنها.. فحدقت إلى ظهره المستقيم. خلل أصابعه الطويلة في شعره الأسود.. الآن لا يبدو نعسان وضعيفاً. بل قوياً وعدوانياً.. عاد ذلك التعبير الحاد إلى صوته:

ـ لولا رغبتي فيك أماً لأولادي لما تزوجتك.

استدار يواجهها وعيناه الزرقاوان باردتان:

ـ أعتقد أنني قلت لك هذا في باريس..

رفعت أورسولا رأسها:

ـ وهل كنت تظن أنني سأكون لك آلة إنجاب فيما عشيقتك بانتظارك على مسافة نصف ساعة؟

ـ توقفي عن هذا أورسولا! لا أسمح لك بمكالمتي بهذه الطريقة.

ـ بكل تأكيد! ظننتني سأجلس في المنزل ساكنة. حسناً.. عليك أن تحسب حسابي! فلن أبقى هنا لأكون مثار ضحك أهالي البلدة. سأرحل فوراً.

تحرك بسرعة فوق السجاد السميك، يمسك ذراعها ويكاد يرفعها عن قدميها:

ـ لن تفعلي هذا.. لن تتركيني أبداً..

في عينيه شيء مخيف، شيء أبعد بكثير من كبرياء عائلة

زاراكوتشي العتيق.. كان شيئاً وكأنه غضب مميز خاص، لأنه اختار زوجة ستجرؤ على إلحاق الخزي والعار به.

صاحت محاولة مقاومته: «لست سجينتك».

رد بصوت مرتجف: «لست سجينتي بل زوجتي».

ـ هذا لا يعطيك الحق..

ـ بل يعطيني كل الحق أورسولا.. لقد مرت ستة أيام..

تغيرت لمسة يديه فصاحت: «لا».

ـ بلى!

ـ أنت لا تريدني أنا بل تريدها هي لأنك تفوهت باسمها عندما استيقظت. حسن.. لا بأس.. اذهب إليها.. وإياك أن تتوقع وجودي هنا لدى عودتك.

جذب الروب عن كتفيها، وأخذ يدفعها نحو السرير.

ـ أنت لا تعنين هذا.

ـ لا.. قيدل.. لا يمكنك أن تفوز بكل جدال يقوم بيننا بهذه الطريقة.

ـ أنا لا أحاول الفوز بجدال.. أريدك.. غبت عنك طوال الأسبوع.

شدت بكل قوتها وتحررت منه:

ـ أجل وقت كان كافياً لتنساني، ولتظن أنني عشيقتك!

لم تقل عشيقتك السابقة لترى ما إذا كان سيصحح لها قولها.. ولم يفعل. بل قال بقوة، وهو يواجهها معترفاً بمبررات غضبها:

ـ كنت نصف نائم.. ولقد ندمت على هذه الغلطة.. أنا ورونا معاً منذ فترة طويلة.

ـ أجل.. منذ عشر سنوات بالتحديد. وهو وقت يدفع الرجل المحترم إلى الزواج بها حالما تترمل، وهذا ما كانت تتوقعه.



قال ببرود: «يتوقع المرء أموراً كثيرة ولا يحققها جميعها».

أحست أورسولا بالانزعاج من هدوئه، فالتقطت وسادة ضربته بها.

ـ خنزير قذر! هل ستدّعي أنها لم تكن الوحيدة!

رمى الوسادة إلى الأرض.. ودنا منها خطوة وشفتاه تلتويان بشكل ينذر بالشر.. وقال:

ـ عشر سنوات وقت طويل.. ومن الطبيعي أن يكون هناك مناسبات أخرى..

ـ آه، طبيعي.. حسناً.. قد يكون هذا أمراً طبيعياً بالنسبة لك. لكن ألم تفكر قط في الزواج بها؟

لاحظت أن من الجنون أن تدافع الزوجة عن حق العشيقة.. ولكنها مضطرة للغوص حتى الأعماق لتعرف مدى علاقته برونا.. لماذا لم يجد فيها أماً مناسبة لأولاده؟ ولماذا تحس أنهما ناقشا أمر ضرورة زواجه.. وأنهما خططا لهذا معاً؟.. أيفسر هذا سبب زواجه من نكرة تافهة؟

ـ فكرت طبعاً في الزواج بها حتى قبل أن تصبح حرة.

اكتشفت أورسولا أن هذا الرد لم يكن الرد الذي تتوقعه:

ـ إذن، لماذا لم تتزوجها؟ أنا واثقة أنها أنسب لك مني زوجة.

أمسك بها، وهبطت شفتاه بوحشية عليها.

وتعاركا، أورسولا تركل وتصيح به ليتوقف ولكنها كانت كمن تضرب دبابة مصفحة. كان ضخماً قوياً ثم لم تلبث أن شعرت بجسمها يميل إليه.

قال غاضباً: «سأقول لك لماذا تزوجتك».

تحشرجت أنفاسه في حلقه ممتزجة بأنون الرغبة والغضب. ورماها فوق السرير ووقف فوقها يحجب بجسده نور الشمس عنها..



www.elromancia.com

وامتلأت أحاسيسها وتفكيرها برائحة رجولته العدوانية.

ـ ابتعد عني.. فأنا لا أريدك قُيدل!

لمعت عيناه وهو يتلقى ضربة أخرى منها:

ـ كاذبة! أنت تريدينني أورسولا الآن ودائماً.. لا تتظاهري..

تلوت، صاحت وقاومت، ومع ذلك لم تجد مقاومتها نفعاً. ولكنها لم تستسلم.. ولن تستسلم أبداً.. هكذا تقلبا وتعاركا. التويا معاً، وتشابكا حتى أصبح شعرها الأشقر الأملس وكأنه أسلاك شائكة.

في أتون غضبها عضته فتراجع يصرخ غاضباً، يمسح فمه بمؤخرة يده ويقول بغضب، وهمس بارد:

ـ ما كان عليك...

استغلت انشغاله بألمه وتقلبت حتى نهاية السرير. ولكن يده امتدت لتعيدها إلى حيث كانت، وشاهدت بذعر خيطاً من الدم في المكان الذي عضّته فيه.. قال لها بوجه أبيض شاحب:

ـ ستعتذرين الآن.. وقبل أن تتحركي من هذا السرير.

زمّت شفتيها بتمرد فكرر آمراً: «أورسولا».

ـ لا.. فأنت المخطىء.

لكنها كانت ترتجف خوفاً، فقد تعدى كل شيء حده فجأة. لم تكن تقصد أن تؤذيه..

أمسك كتفيها يهزها: «لا تدفعيني إلى ارتكاب ما نندم عليه فيما بعد».

أحست عبر أصابعه بحرارة الغضب الذي يحرقه، لم تعامل امرأة قط قُيدل كما تعامله هي الآن من قبل.. وإذا تجرأت فسيكون عقابها.. ماذا؟ ابتلعت ريقها بصعوبة، وحاولت أن تتخلص من قبضته. ولكن صوته صدمها:

ـ أورسولا ستعتذرين..



فجأة تهاوى وجهها وقالت منتحبة:

ـ أنا آسفة.. لم أقصد..

لمست وجهه وفجأة زال الخصام فتعلق كل منهما بالآخر وراح قُيدل يتمتم باسمها، ويقول:

ـ كان عليك أن توقظينني هكذا.. في غرفتي.. في سريري.

ـ وأنت.. كان عليك المجيء إلى السرير.. سريرنا حالما عدت إلى المنزل.

سيكون كل شيء على ما يرام. كانت يداه كالنعيم على بشرتها، يداعبها ويعذبها بهما. آه، ما أشدّ رغبتها فيه.

قال مداعباً: «ألهذا كنت غاضبة؟»

قالت بإصرار: «لا، لم يكن هذا السبب».

سألها: «أما زلت تريدين معرفة سبب زواجي بك؟»

ردت هامسة تغمض عينيها مترقبة:

ـ أجل.. أخبرني.

قال ببطء وهو يقترب منها أكثر فأكثر:

ـ هذا.. هو.. السبب..

وضاعت في عالم حبه.

فيما بعد، ومن بين غيبوبة النعاس الخفيفة، داعبت شعره بأنامل مرتعشة فتمتم: «أيرد ما حدث بيننا الآن على سؤالك؟»

همست: «أجل».

لكن رغم الدفء الذي تشعر به كان هناك شيء من التوتر والريبة. هل تزوجها لأنهما مميزان في علاقتهما أم لتحمل منه؟

حملت أورسولا معها ذكرى هذا اللقاء الدافىء، وكأنها درع يحميها من برد الرياح التي تهب من الجبال.. لم يكن هناك رياح بالفعل.. فقد ظلت حرارة شهر آب ولكنها كانت بحاجة إلى عزاء



www.elromancia.com

وحماية في هذا الوقت الغريب الذي عليها فيه التكيّف مع حياتها الجديدة.

في أحد أيام شهر آب تلقت رسالة من إيما مرفقة بقصاصة من صحيفة تحمل صورتها وڤيدل يوم زفافهما.

نظر ڤيدل إلى القصاصة عندما مررتها إليه عبر مائدة الطعام وبدا مستغرباً.

سأل ببرود: «أهي على ما يرام؟».

لم يكن يتكلم عن إيما.. في الواقع لم تسمعه يتكلم بسوء عن أحد.. بل كان يسجل عدم موافقته في صمت ملموس..

ـ لا أراها مستمتعة بإقامتها في نيس.. تقول هنا إنها بدأت تسأم.. وتفكر في المجيء إلى «البندقية».

رفعت نظرها إلى ڤيدل، البندقية قريبة جداً من هنا. قال لها بهدوء:

ـ إن رغبت في دعوتها إلى منزلي فادعيها.. فهي ما تبقى لك من عائلة. لن أنسى هذا.

لكنهما تركا المسألة تسقط، فهي لا تريد إيما في «مونتي فيرنو».. وهكذا أكملت الحياة دورتها. كان ڤيدل يذهب إلى ميلانو ويعود ولم تره إلا مشغولاً في دوامة أمبراطورية المال التي صنعها بنفسه.. لم يذكرا إيما بعد ذلك.. وحاولت أورسولا العيش كل يوم بيومه. وفي أواخر آب عاشت لحظات ذهبية. كان يمد إليها يده وهو نائم ليلاً وفي بعض الأحيان كانت ترفع رأسها إليه فتجد عينيه مستقرتين عليها وفي إحدى المرات وفيما كانت ترسم بحث عنها ولما وجدها قنع بالبقاء هادئاً يراقبها. سألها مرة:

ـ أخبريني المزيد عن لوحات أمك.

ووصفت له اللوحات الستة التي لن تراها أبداً.. ثم سألت:



ـ كان ديلغي يسألني عن أمي منذ أسبوعين.. هل أخبرته أنها كانت رسامة؟

أشاح بوجهه: «ربما، ماذا قال؟»

ـ لا شيء.

قبّل فمه رأسها.

ـ أنت شابة موهوبة جداً.. وأنا فخور بك.

وتعانقا ونسيا كل شيء حولهما.. ثم سافر ڤيدل من جديد سعياً وراء صفقة كبيرة، وكان أن أمضت ليالي طويلة بمفردها في الفراش. وطالت الأيام الطويلة الحارة وكان عليها تنظيم الحفلة مع رونا التي قالت لها يوماً:

ـ يا ابنتي الحلوة. ستشمل الحفلة طبعاً ألعاباً نارية.. أليس كذلك ڤيدلو..؟ قل لأورسولا إن هناك ألعاباً نارية لمثل هذه المناسبة..

رفع ڤيدل يومذاك رأسه عن الصحيفة وقال إذا أرادت أورسولا ألعاباً نارية فليكن ذلك. كان يتكلم بصوت متحفظ مع الكونتيسة حين كانت تأتي للزيارة التي أصبحت رتيبة ومتكررة. كانت نبرة صوته وحدها تجعلها تصدق أن لا شيء يجري بينهما. ولكن الإيطالية الفاتنة لم تكن تلاحظ هذا.. وفيما كانت تعبث مع ڤيدل بعد ظهر ذلك اليوم أحست أورسولا بالغضب القديم يتفجر من جديد في داخلها.. على ڤيدل أن يضع حداً لرونا.. وليس من العدل أن يعرض زوجته للإزعاج بسبب وجود عشيقته السابقة ولكن هل هناك أحد سواها ليقدم لها النصح؟ قالت لها في زيارة أخرى:

ـ الرجال كلهم سواء.. لا يرغبون بالتورط في الشؤون المنزلية.. لكنهم يتوقعون حتى من زوجاتهم الحديثات العهد بالزواج أن يدرن منازلهن بكفاءة. أيظنون أننا خلقنا لمثل هذه الأعمال فقط؟

ابتسمت ابتسامة جعلت أورسولا تصرّ على أسنانها.

عندما أحضر قيدل الخياطة من ميلانو أرادت أورسولا أن تصيح به: «اسمع! أنا قادرة على الذهاب إلى ميلانو لشراء فستان!» لكن مثل هذا لا يحدث في منزل آل زاراكوتشي.. حين تمتمت بما هو أكثر تواضعاً بدت الدهشة على قيدل الذي قال إنها لا تتصور مدى الحرارة في ميلانو.

بدأت الردود على الدعوات تتدفق بعد أيام من إرسالها. سيبيت العديد من الضيوف ليلتهم هنا.. لذلك يجب تجهيز غرف الضيوف جميعها.. مع مرور الوقت أصبحت حياة أورسولا تدور حول لائحة أو أخرى.. ثم جاءت أزمة مقدمي الطعام، ثم الكهربائيين الذين لم يصلوا إلا قبل يوم واحد من الحفلة لتزيين الشرفة بالأنوار.. وصل فستان أورسولا قبل وقت طويل.. ولكنه كان طويلاً جداً فردته إلى الخياطة ولكن رونا غضبت ولم تفهم أورسولا ما شأنها هي.

كانت في بعض الأحيان تخرج في نزهة حول الجزيرة.. وكثيراً ما التقت ريكو الذي كان يأتي دائماً عندما يكون زوجها غائباً وهذا أمر غريب.

عاد فستانها قبل الحفلة بيوم فحملته إلى غرفتها لئلا يراه أحد قبل الوقت المناسب. قبل الحفلة بيوم انتقلت رونا للسكن في القيلا.. أما قيدل فلم يكن قد عاد حتى الآن. قالت لها رونا:

ـ تبدين متعبة أورسولا.. عليك النوم باكراً.. يجب ألا تظهر العروس في الحفلة متعبة.

وهكذا دفعت أورسولا إلى غرفتها، والحق يقال، لقد كانت أكثر من سعيدة للخلود إلى النوم والراحة.

حمل قيدل العشاء إلى غرفتها.. فأسندت نفسها على مرفقها:

ـ لا داعي لهذا حقاً.. سأنزل لتناوله.

لمست أصابعه وجهها: «هل أنت مريضة؟».



ـ بالطبع لا.. متى عدت؟ لم أسمع صوت اليخت.

ـ منذ وقت قصير. تبدين شاحبة.

ـ هراء! سأنهض حالاً.

قال بصوت هادىء ثابت:

ـ لا.. أورسولا.. اخلعي ملابسك ونامي جيداً.. تعالى.

قبلته: «لا».

ـ ولمَ لا؟

لفت ذراعيها حول صدره: «لأنك متعب وعليك أن تخلد إلى الراحة».

أمسك بيديها: «أرجوك أورسولا، تناولي العشاء ونامي».

ثم ساعدها.. لا.. بل أجبرها على خلع ملابسها. فحاولت أورسولا الاعتراض مجدداً.

ـ لكن.. لدينا ضيوف.

ـ رونا لا تعتبر نفسها ضيفة.. وإن قلت أنا إنك بحاجة للراحة فعليك أن تستريحي.. لقد أتعبت نفسك كثيراً إلا إذا...

ـ إلا إذا.. ماذا؟

ـ لا شيء.

جلست تأكل العشاء.. فأردف:

ـ الآن.. كوني طيبة وفكري في الغد. سأعود فيما بعد، وأتوقع رؤيتك نائمة.. أتعدينني؟

أحست بالارتباك ولكنها كانت مسرورة من قلقه عليها، مع أنها غير واثقة من أسبابه.. فبغيابها سيتعشى وحده مع رونا.

خرجت من السرير تنظر إلى نفسها في المرآة.. لم تكن تبدو شاحبة، ربما متعبة قليلاً..

عادت إلى السرير، وأعادت الصينية إلى ركبتيها.. لقد كانت

مجنونة عندما دفعت نفسها إلى تنظيم هذه الحفلة حيث جعلت بذلك رونا محور الحفلة وعصبها فهي لم تنفك كخروف أبله عن القول «نعم رونا.. لا رونا» في الغد سيعج المنزل بأشخاص لا تعرفهم..

دفعت عنها الصينية ونامت. وفي الصباح كانت شهوتها إلى الطعام مفقودة وفي الواقع كانت تحس بالدوار وعزت ذلك إلى التوتر الذي يسبق حفلة كهذه. فكان أن أجبرت نفسها على تناول الفطور وعندها شعرت بأنها أفضل حالاً.

خرجت رونا من غرفتها تقول:

ـ ما كان عليك تركي أنام حتى هذا الوقت.

أمسكت أورسولا بكوب العصير، وردت على ما قالته لها صاحبة الزهور.. كانت فتاة أميركية لطيفة.. قالت الأمريكية:

ـ أليس هذا أجمل مكان في العالم؟ أعتقد أنك لن تعتادي عليه أبداً.. أعني، إنك لن تشعري بأنه مألوف.

هزت أورسولا رأسها وهي تكاد لا تسمع كلام الفتاة، لأنها كانت تحاول يائسة أن تسمع ما يقوله ڤيدل ورونا.. إضافة إلى محاولة تذكر متى عاد ڤيدل إلى الفراش. ولكنها لم تستطع سماع سوى ضحكة الكونتيسة الفاتنة، أما موعد عودته إلى فراشها فلا تذكره بل كل ما تذكره أنها استيقظت مرة ولم تجده، وفي الأخرى وجدته.

كان جسد رونا يميل إليه، ورأس ڤيدل يقترب منها أكثر فأكثر.. وكأنما ليلتقط همسة سرية. إنهما معاً يخلقان صورة رائعة لحبيبين.. فجأة لم تعد تستطيع الاحتمال فقالت لفتاة الزهور:

ـ تعالي أريد رؤية كيف زينت غرفة الاستقبال.

عندما انطلقتا لم تلتفت أورسولا إلى الوراء. فجأة قررت شيئاً بشأن ما لم تكن تفكر فيه أصلاً. غداً بعد الحفلة ستتم تغيرات عديدة. وعلى ڤيدل أن يختار إما أن تذهب رونا أو تذهب هي!



وهكذا حين بدأ الضيوف بالتوافد بعد الظهر، استطاعت أن تستقبلهم بكل ثقة بالنفس، لأنها أورسولا زاراكوتشي.. العروس الجديدة.. وما كان هناك حفلة لولاها.. جاء بعض الضيوف من ميلانو.. وهم بالطبع سيبيتون ليلتهم في الفيلا.. ولكن معظم الضيوف كان من نزلاء الجبال.

يا لها من فوضى! الساعة تجاوزت الخامسة والطقس ما زال حاراً. أضيئت الأنوار ثم شاهدت الكهربائي مع سلة مليئة باللمبات الملونة، يبدل على الفور ما احترق.. ثمة عمل كثير.

تركت الضيوف يستمتعون، فلا شيء يمكنها القيام به وشعرت بأنها طفلة شريرة مزعجة. تسللت إلى الرصيف، تجلس على عوارضه الخشبية واضعة قدميها في الماء، متذكرة حفلات أخرى متواضعة كانت فيها لا ترتدي إلا الجينز الضيق ولا تأكل إلا السباغيتي أو البيتزا، في مطبخ صغير معظم أدواته مستعارة.

ولكن ما مضى فات وعوضاً عن شوارع لندن الخلفية المكتظة أو شوارع باريس، ها هي الآن في جزيرة رائعة تحيط بها مناظر خلابة.. وعوضاً عن الشقة الصغيرة ها هي تعيش في منزل ضخم جميل مع أعظم رجل في العالم.

قهقهت بصوت عال وهي تضيف: «مع أعظم فستان في العالم».

وقفت ثم دسّت صندالها في قدميها متجهمة الوجه فلا الحرير يهمها ولا الجواهر بل ڤيدل وزواجهما..

عرفت أورسولا أنها لن تخسر ڤيدل أو زواجها بدون قتال!

* * *

# ٨ ـ الاختيار

كانت يائسة غاضبة غضباً يفوق التصور. نظرت إلى ما حولها ثم التقطت وسادة رمتها نحو قيدل:

ـ اخرج من هنا! اخرج! كيف تجرؤ على المجيء الآن! ألديك فكرة كم الساعة؟ لا تقل إنك كنت تتحدث إلى ضيوفنا.

التقطت وسادة أخرى ورمته بها كذلك:

ـ هيا.. اخرج! نم في غرفتك..! أليس هذا ما تريده حقاً؟

نظرت إلى ما حولها ثانية بحثاً عما هو ثقيل لترميه به. هذا يكفي.. لقد انتهى كل شيء الآن.. قاتليه! هه! تقاتلي معه!

ـ أورسولا هل فقدت عقلك؟

بدا تعباً، تعباً!

ـ ماذا يعني هذا التصرف؟ أتريدين أن توقظي من في المنزل؟

أمسكت بغطاء السرير وكأنه قادر على حمايتها ثم ردت:

ـ لا تحاضر فيّ بهذه الطريقة. أعرف أين كنت.. رأيتك مع رونا وقت الألعاب النارية. إياك أن تنكر!

ما زال الذي حدث حياً في خيالها. كانت الحفلة في أوجها والجميع يهنئونها على نجاحها الرائع.. وكان المنزل والشرفة يعجان بالضيوف وضحكاتهم. اندست بينهم بثقة. كان شعرها رائعا فقد استطال مؤخراً وتدرج بطريقة ساحرة. عرفت أنها لم تكن قط جميلة



كحالها اليوم. بدا وكأن هالة جديدة تحيط بها.. هالة لاحظها الرجال وجذبتهم إليها طوال الأمسية.. أقيم الرقص في الخارج على الشرفة تحت الأنوار الملونة، وزاد من سحر الموقع أنوار البلدة المتلألئة على المياه.

انشغلت أورسولا كثيراً كونها المضيفة وهذا ما كان عليه حال قيدل أيضاً ولكنها أخيراً ذهبت لتضع كوبها على الطاولة، وبقيت لحظات بمفردها.. وما هي إلا ثوان حتى كان إلى جانبها، يمسك مرفقها ويهمس:

ـ فلنبتعد من هنا.

تسللا بدون أن يراهما أحد، نزولاً فوق درجات الشرفة، ومن هناك إلى الشاطىء ثم أخذ يقودها إلى ممر سرّي عابق برائحة أزهار الليل. مرّا تحت دالية ضخمة تحجبهما عن الأنظار وهناك ضمها بكل حنان بين ذراعيه وقبلها. ثم تمتم:

ـ أنت أجمل امرأة الليلة.. أتعرفين هذا؟

تنهدت تريد أن تصدقه. تجولت شفتاه عليها فهمست: «إنها حفلة رائعة فعلاً. شكراً لك».

أبعدها عنه قليلاً: «ليت جميع الحاضرين يختفون. إلى أين نستطيع أن نذهب؟»

ترنخا معاً وأحست بتوتر جسده المألوف: لا...

ـ لماذا؟

ـ لأن..

تناهت إليهما أصوات من الشرفة فوقهما. فهمس: «لا بأس. لن يرانا أحد من هنا».

لكنها لم تكن واثقة فراح يعانقها بشغف حتى انسل الفستان بعيداً عن كتفيها.

ـ فيدل!

كان توسلها مزيجاً من الضحك والارتباك والتوبيخ.

ـ قد يأتي أحد ويرانا.. أوه..

رد بصوت عميق: «لن يأتي أحد».

ـ فيدل حبيبي، لا أستطيع التحمل.. هذا غير منصف.

قال بسرعة: «تعالي سنقصد سقيفة المركب».

قاومت لتعيد الفستان إلى مكانه: «لا تكن سخيفاً».

يا الله! ماذا إن رآهما أحد الآن!

ـ لا أشبر إلى اليخت بل إلى مركبي الكبير، هيا بسرعة!

تهادت إليه مترنحة، تريده وتتوق إليه. آه يا له من جنون!

ـ رتب فستاني أولاً..

ليس على المضيف والمضيفة الاختفاء بهذه الطريقة.

ثم فجأة توقفت الموسيقى، ونادى أحدهم اسم فيدل.. فهمس: «لا تأبهي، تعالي».

ولكنها تراجعت عندما تعرفت إلى الصوت: «فيدلو».

إنها رونا، ثم بدأت تنادي بالإيطالية، فلعن وشتم:

ـ يريدون البدء بالألعاب النارية.. يجب أن يتم هذا في منتصف الليل.

ابتلعت أورسولا ريقها: «آه، يا إلهي!»

ـ آسف حبيبتي. علينا العودة.

ـ عد أنت، أما أنا سألحق بك بعد دقائق.

وهكذا ظلت في الحديقة المظلمة ترتب نفسها وتهدىء مشاعرها. كانت تهم بالعودة حينما انطفأت أنوار الشرفة، وغرق المكان كله في الظلام. هكذا بقيت في مكانها تنظر إلى السماء.. ثم بدأ كل شيء: ألوان ذهبية فضية، حمراء، خضراء.. صواريخ ونجوم مفرقعة، مطر



ذهبي.. وتناثرت صيحات الإعجاب «أووه» و «آآه» وكأن الجميع أصبحوا أطفالاً. كان كل شيء في الواقع يلمع.. وشقت طريقها إلى أسفل الدرج. ثم انطلقت مجموعة أخرى من الألعاب النارية لتنفجر في السماء الحالكة. وكان الجميع يحدّق إلى الأعلى إلا شخصين كانا في مؤخرة الشرفة شخصين بدوا كثيري الاهتمام ببعضهما بعضاً. وتوقف الليل الرهيب دقائق فاستطاعت أورسولا التعرف إلى رونا وفيدل الذي انحنى نحوها معانقاً.

انهارت الحفلة كلها بالنسبة لها. فلملمت أذيالها وقفلت راجعة عائدة إلى الحديقة.. هذا يكفي. لقد طفح الكيل! لن تحتاج إلى المزيد من الإثباتات.. فما زال فيدل على علاقة مع عشيقته.. وقد قام بالاختيار بدون أن يدري.

الآن، وهي جالسة في الفراش ممسكة بالغطاء بجنون تساءلت كيف يجرؤ على القدوم إليها في الخامسة صباحاً بعدما كان مع تلك المرأة طوال الوقت.

كان فيدل قد التقط الوسادتين ورماهما على المقعد.

ـ أنت مرهقة.. لا تعرفين ما تقولين.

لمعت عيناها الخضراوان بخطورة:

ـ أعرف ما أقول.. أقول لك اخرج من هنا.. نم في غرفتك!

تحولت خطوط وجهه إلى العداء الشديد.

ـ حسن جداً.. خلتك أويت إلى فراشك بسبب التعب ويبدو أنني كنت مخطئاً.

ـ أهذا ما قلته للضيوف؟ عظيم. إنه عذر مناسب.. حسناً.. لم أكن متعبة، لكنني رفضت البقاء لأشهد تلك... تلك المهزلة. ألهذا صحبتني إلى الحديقة؟ المشكلة أنني لم أبق في الأسفل الوقت اللازم.. فقد شاهدتك فيما بعد على الشرفة مع رونا وأنت تعانقها!



www.elromancia.com

كان بمقدور أي كان رؤيتكما.. كيف تجرؤ على اصطحابي إلى هنا؟ كيف تجرؤ على إهانتي؟ كيف تجرؤ على معاشرتها ثم تتوقع مني القبول بك في فراشي.

انتزع قيدل ربطة عنقه، ورماها إلى الأرض، ثم بدأ يفك أزرار قميصه:

- لا تتهميني بإقامة علاقة غرامية تحت السقف الذي تتواجد فيه زوجتي! اقترفت ذنوباً كثيرة في حياتي ولكنني لن أقترف شيئاً كهذا.

انتزع القميص، ثم رماه بعيداً، وصاحت أورسولا ترد عليه:

- لم تتح لك الفرصة حتى الآن.. لا تظن أنك خدعتني بتظاهرك بالبرود حين أكون موجودة.. كم مرة تلتقي بها حين تكون مسافراً في عمل؟ منذ البداية كانت هي.. أليس كذلك؟ في باريس حين سافرت أول مرة واتصلت بي من روما.. سمعت صوت امرأة.. كانت هي.. أليس كذلك؟ كنت على علاقة معها حتى وأنت تطلب يدي للزواج.

- أنت محقة للمرة الأولى عزيزتي أورسولا.

بدت لكنته متكسرة.. وكأنه يعاني صعوبة كبيرة في تذكر الإنكليزية، رفس حذاءه ليخلعه ثم أمسك حزام بنطلونه بيده. وصاحت أورسولا: «ماذا تفعل؟».

- سآوي إلى الفراش.

- نم في غرفتك.. لن تمضي ما تبقى من هذه الليلة معي.. قيدل زاراكوتشي!

أكمل خلع ثيابه أمام عينيها المذهولتين:

- لقد أوضحت ذلك جيداً. ولكننا بدأنا شيئاً في وقت مبكر.. شيئاً انتظرت الليل كله لأتمه.

- لا.

تحرك كالصاعقة.



- بلى أورسولا.. وفي هذه اللحظة.. لقد انتظرت ما يكفي.

أمسك بها وهي تحاول الهرب من السرير.. فصاحت به:

- إذن.. عليك العودة إلى رونا لترى ما تستطيع فعله لك مرة أخرى.

آه. يا إلهي! إنه على وشك أن يضربها!

- أنا لا أريد رونا بل أريدك أنت.. أنا زوجك أورسولا.. «زوجك» حان الوقت لتفهمي معنى هذا.

دفعها إلى الوراء على الوسائد، وسجنها بين ذراعيه.

يا الله! ماذا سيفعل بها؟ تلوت، قاومت، قاتلت متذكرة أنه فعل بها هذا عندما عضته ولكن يومذاك تحوّل غضبه إلى حنان أما اليوم فلن يحدث شيئاً كهذا، فقد فات أوان الحنان واللطف. لقد ضبطته وهي تعرف الآن أنه غير مخلص، كما تعرف أنه لا يحبها فما هذا إلا مجرد واجب زوجي..

- ابتعد عني.. أكرهك!

ولم يُجدِ نفعاً قولها. وفي خضم هذا كله بدأ جسمها المتطلب يغرق في لهيب حبه ويتجاوب.. كانت تقاوم، تقاتل، تركل، تلكم، ولكن مشاعرها كانت تذوب به حباً. وأخيراً نجحت في توجيه لطمة إلى وجهه فهدر في ثورة غضب وتغلب على كل مقاومة لديها.

- أيها المتوحش، القذر.. الخنزير..

ضمت قبضتيها وأغمضت عينيها بشدة وغضب.. لماذا هو قادر على دفعها إلى الجنون؟..

غير أنها كانت محقة فلم تجد هذه المرة عنده حناناً أو مداعبة لطيفة بل كل ما حدث استغلالاً لجسدها ليرضي نفسه. وهذا كل ما أمل به تلك الليلة.. وأرادت أن تكرهه. لقد قاومته، ولن يتكرر هذا ثانية. أصبحت غير مميزة بالنسبة له وستوقف كل شيء..

صاحت مجدداً: «ابتعد عني».

إلا أنه يعرف.. يعرف ما تعني.. صاح صيحة انتصار جرفها معه إلى عالم آخر.. عالم الغفلة والضياع.

عندما فتحت عينيها كان إلى جانبها شكل ضبابي مظلم فشهقت خائفة غير واثقة أين هي، حتى تخيلت أنه قال: «هس، أنت بخير يا صغيرتي».

وتخيلت أنها تعلقت به وبكت.. ثم نامت مجدداً، وكان هو هناك لكن الدنيا لم تكن واقعية.

تحرك.. ابتعد عنها، ففتحت عينيها المخدرتين المثقلتين بالحب.. وهمست: «إلى أين؟».

ـ إلى غرفتي.

اخترقت الجملة الصغيرة ذكرى ما حدث: «ماذا تقصد؟»

ـ طلبت مني أن أنام في غرفتي.. ومن الآن فصاعداً سأنام فيها. إنما لا تظني أبداً أن هذا سيؤثر في قدرتي على الوصول إليك. أنت زوجتي، ولي كل الحق بجسدك. لقد عرضت أمامك نموذجاً لما سيحدث كلما أردتك.. لن تؤثر في دموعك أو غضبك، فأنت زوجتي..

كانت نبرة صوته تقطع الجو بسكين:

ـ لن أشاطرك الفراش لأن النوم مع شخص ما يقتضي الثقة.. وهذا ما يجب أن تتعلميه.

انحنى يلتقط ثيابه وهو يتجه إلى الباب:

ـ حين تكونين على استعداد للتحدث كامرأة راشدة تعالي إلى فراشي.. وحتى ذلك الوقت لن أزعجك أبداً.

تمتمت أورسولا عبر شفتين مرتجفتين: «إلا حين تريد أخذ ما هو حقك».



ـ بالضبط..

انحنى لها ساخراً: «إلا حين أريد أخذ ما هو حقي».

حقه! حقه!

غاصت في الوسائد بعد رحيله تكبت دموعها! اللعنة عليه! تباً له! عرفت الآن خاصة الآن أنها تحتاج إلى ڤيدل زاراكوتشي وأنها تحبه إن لم يكن بمقدار كبير فأكثر من ذي قبل ويا لها من ورطة يائسة!

غادر آخر الضيوف بعد الغداء. ووقف ڤيدل وأورسولا يلوحان لهم على الرصيف.. كان يوماً حاراً رطباً تلبدت فيه الغيوم.

قال ڤيدل بصوت متحفظ: «أعتقد أن جميع المدعوين قد استمتعوا».

سارعت رونا تجيب وتدس ذراعها بذراعه وتستند إليه:

ـ بالطبع «كارا» كانت مناسبة رائعة.. إنها أفضل مناسبة حضرناها.

ابتعد يلتقط رأس زهرة ميتة من وعاء:

ـ أنا واثق أن أورسولا تقدّر لك مساعدتك.

وصلوا إلى الدرجات المفضية إلى الشرفة فتراجعت أورسولا إلى الوراء وهي تشعر بأنها تكره ڤيدل لأنه تركها في هذه اللحظات بالذات. لا يمكنها شكر رونا ولو فعلت لاختنقت!

امتد الصمت إلى ما يشبه الأبدية.. كان وجه ڤيدل متجهماً.. فهو يتوقع اللياقة والأدب مهما كانت الظروف.. بعد لحظات قال:

ـ رونا.. هل لي أن أتحدث إليك في مكتبتي بخصوص الاستثمارات التي أردت أن أنظمها لك.. أتعذرينا أورسولا؟

لا.. لا.. لا.. لن تعذرهما.. وتشابكت نظراتها بنظراته.. فتحت فمها لتحتج ضاربة عرض الحائط بكل ما هو لائق.. ولكن وصول ديلغي قطع عليها ما أرادت قوله. سمعت الخادم يقول إن للسيد

مكالمة من لندن. فكان أن ترك المرأتان بمفردهما. سحبت أورسولا نفساً عميقاً. وقالت بصوت أذهلها ثباته:

ـ وأنا أود أيضاً محادثتك.. أنجلس على الشرفة، أم تفضلين التنزه سيراً على الأقدام؟

ضحكت رونا، لكن عينيها السوداوين كانتا قلقتين.

ـ بل نجلس.

قالت أورسولا بعدما استقرتا في مقعدين:

ـ ڤيدل محق.. أنا أقدّر فعلاً المساعدة التي قدمتها لي في الحفلة.. ما كنت لأعرف كيف أبدأ..

ـ كان هذا من دواعي سروري عزيزتي أورسولا..

ـ ولكن من الأفضل أن تعرفي أنني رأيتك ليلة أمس مع ڤيدل أثناء الألعاب النارية.

لم تتظاهر الكونتيسة بعدم الفهم.

ـ إذن لهذا السبب أواجه وجوهاً متجهمة هذا الصباح؟

ـ لا أظنني أرى في الموقف ما يدعو للتسلية والمرح.

اسود وجه المرأة: «وهل تحدثت مع ڤيدلو بالأمر؟».

ـ أجل.

ـ كانت هذه غلطة.

ـ لقد كذبت عليّ حين قلت إنك لا تنوين انتظار عودة ڤيدل إليك لأنك كنت تنوين ذلك وتخططين له متوقعة مني مراقبة ما يحدث بيدين مكتوفتين.

ـ لكنك حمقاء إن تخليت عن كل شيء!

ـ إذن، لا تنكرين؟

احتاجت أورسولا إلى بذل جهد كبير لتبدو هادئة ولكنها في أعماقها كانت ترتجف خوفاً مما ستعرفه الآن. قالت رونا مبتسمة:



ـ أنت مغرمة في التشاؤم.. مجرد قبلة بين حبيبين سابقين...

ولكنها عرفت أن أورسولا لم تصدقها، فهزت كتفيها مبتسمة مرة أخرى ابتسامة بطيئة، شريرة.. وأسندت ظهرها إلى مقعدها متقاطعة الساقين.. ثم قالت بصوت قاس:

ـ وماذا توقعت حقاً؟ لقد رأيت أصدقاء ڤيدلو.. رأيت من يختلط بهم من مصرفيين وسياسيين ورسميين. ورأيت النساء اللواتي يرافقن أمثال هؤلاء الرجال.. وهن نساء خلقن في مثل هذا العالم. ڤيدلو بحاجة لي.. وسيبقى دائماً بحاجة إليّ.. وزواجه بك يزيد من حاجته إليّ ولا يخفف منها.

غرزت أورسولا أظافرها في راحتي يديها حتى كادت تصيح ألماً.

ـ إذن.. لماذا لم يتزوجك أنت؟ لماذا لست العروس الجديدة في عائلة زاراكوتشي؟ لماذا، وهو يحبك إلى هذه الدرجة، نحاك جانباً بعد عشر سنوات..

راقبت وهي تتكلم كل حركات وجه الكونتيسة.. كانت ردة فعلها مهمة.. وإذا كان هناك غيرة، أو غضب لهجرانه لها، فهذه هي لحظة ظهورها. لكنها لم تجد شيئاً.. بل ابتسمت رونا بتسلية، وكادت تضحك.

ـ عزيزتي أورسولا.. أنت لا تتصورين أن ڤيدلو هجرني! إن هذه الفكرة منافية للعقل.. أنا آسفة.. ظننت أن السبب معروف بالنسبة لك.

ـ أعرف ماذا؟

ـ ألم تعرفي أن زوجي وضع حاجزاً هائلاً دون زواجي. كان رجلاً شديد الثراء وقد أورثني أملاكه شرط ألا أتزوج ثانية. وإن خالفت وصيته وتزوجت آلت تركته إلى أولاده من زواجه السابق.

ـ أتقصدين أن ڤيدل انتظر وأنه طلبك للزواج؟

اتسعت عيناها السوداوان دهشة:

ـ طبعاً.. إنما ذلك صعب عليَّ لأنني بزواجي أخسر الكثير.

لوحت أورسولا بيديها:

ـ وماذا عن كل هذا! أليس لديه أكثر مما يكفيكما؟

ـ عندما تصبحين في مثل عمري ستقدرين قيمة الاستقلال المالي. وأنا لا أتخلى عنه لأي كان.

اتضحت فجأة أمور كثيرة لأورسولا.. فيدل يحب هذه المرأة وأراد الزواج بها.. وكيف لرجل مثله أن يتصرف أمام مثل هذه الضربة النجلاء لكرامته؟ أيتزوج أول امرأة تصادفه انتقاماً من رونا، أم بغية استمرار سلالة زاراكوتشي؟

تناهت إليهما أصوات من الداخل. كان فيدل يكلم ديلفي بشأن رحلة غير متوقعة إلى لندن، ولكن أورسولا عرفت أنها لا تستطيع مواجهة زوجها الآن. فهي مجروحة حتى أعمق أعماقها.

هرعت راكضة قبل أن يراها وقالت:

ـ قولي له إنني خرجت أتمشى.

ولم ترد رونا، بل برقت عيناها بانتصار حقود.. ولعنت أورسولا نفسها لأنها فكرت يوماً أن الكونتيسة ترغب في صداقتها.

عَدَتْ هاربة فوق الصخور المجاورة للمنزل مبتعدة عن الحدائق متوجهة إلى المكان الذي كانت تلتقي فيه ريكو. خلعت صندلها، وسارت على الشاطىء. ماذا ستفعل؟ كيف ستستطيع العيش مع رجل تحبه بيأس، وتعرف أنه تزوجها لأهداف غير نبيلة؟

خلعت فستانها القصير، وسبحت في الماء.. وسرعان ما أصبحت ملابسها شفافة، ثم طافت على ظهرها. بعد فترة وجدت أنها بدأت تشعر بالبرد فخرجت ولكنها لما نظرت إلى الوراء أصيبت بالصدمة. آه.. لا.. ها هو المركب الصغير ذو الأشرعة البيضاء



والزرقاء. كان ريكو آخر من تريد رؤيته في هذا الوقت! لذا أسرعت تبتعد عن الأنظار. ثم تذكرت سقيفة المراكب..

رددت أورسولا بالإنكليزية:

ـ أريد قارباً.. قارباً..

ولوحت بيديها:

ـ في الخارج.. في البحيرة.

هز المراكبي رأسه وابتسم، ثم انطلق يتحدث لها بالألمانية وأنهاها بطريقة تدل على أن إخراج القوارب محرم تماماً.

تركته أورسولا مبتعدة بغضب.. ثمة شخص واحد بإمكانه إصدار مثل هذه الأوامر.. فيدل.. لم تخرج من هذه الجزيرة منذ ستة أسابيع! وإن لم تخرج فستصرخ.. بل ستولول!

ثم، أطبق كل شيء عليها فجأة.. وركضت عائدة إلى الشاطىء.. تشق طريقها بسرعة على العشب النامي والأشواك ووصلت إلى حيث كان ريكو. صاحت به:

ـ ليس عليك أن تكون هنا.. سيقبضون عليك في يوم ما!

لم تلبث أن هرعت إليه رامية ذراعيها حوله ثم أجهشت بالبكاء.

قالت منتحبة على صدره: «ابعدني من هنا».

خرجت الكلمات منها عن غير قصد:

ـ أبعدني.. أبعدني.. الآن.. في هذه اللحظة!

تراجعت إلى الوراء، تنظر إليه، تريد منه أن ينفذ ما طلبت.

ابتلع ريقه: «ولكن زوجك».

صاحت ساخرة، تتذكر الرجل في سقيفة المراكب:

ـ هل أنت خائف منه أيضاً؟

اسودّ وجهه فرجولته على المحك ولكن الحذر سيطر على رده، وقال بحذر: «أنت متكدرة لذا لا تسرعي في اتخاذ القرارات الانفعالية.

اجلسي هنا . . ماذا سيقول الناس لو شاهدوك وأنت على هذه الحال؟ ألن يتهموني بأنني اختطفتك؟ ألا توافقينني الرأي؟ خاصة وأنت لا تحملين حقائب».

سخرت منه: «ألم يكن الهدف من مجيئك إقناعي بمرافقتك؟»

بدا مرتبكاً: «أجل، إنما . .»

ـ إنما . .

ـ لم تظهري أقل بادرة تدل على رغبتك في التعرف إليّ.

ـ وأنت لم تحاول دفعي إلى الاهتمام.

لماذا تفعل هذا؟ لقد جنت بلا شك.

نظر إليها شزراً وعلى وجهه ريبة ما، ثم سأل:

ـ إلى من كنت تتحدثين؟

ـ أتحدث؟ لا أفهم قصدك. ألا تريد إبعادي عن هذا المكان؟

ـ إذا كان هذا ما تريدينه حقاً . .

ـ لا أعرف ما أريد ولكن أطلب منك العودة غداً . . أرجوك قل إنك عائد؟

ـ طبعاً سأعود . . إذا سمح لي الطقس.

لف ذراعه حول كتفيها وضمها إليه، وقال جاداً:

ـ أتعلمين . . أنت امرأة رائعة، وأظن أن زوجك مجنون.

قالت متسرعة: «وكيف تعرف أن . . .»

كادت تكمل: أن قيدل لا يحبني.

بدا مرتبكاً، محرجاً، ثم اقترح أن يتمشيا، لتريح أعصابها . .

سألته: «هل ستعود غداً؟»

التفت إليها، والعصا تتأرجح في يده . . وعيناه الراقصتان أكثر اسوداداً وصرامة، وقال بهدوء:

ـ إذا كان هذا ما تريدينه حقاً.



أشاحت نظرها عنه، ثم أغمضت عينيها بشدة، تحاول ترتيب أفكارها المشتتة.

ـ أريد أن أعرف ما إذا كنت عائداً، فقد أرغب في الرحيل . .

لف ذراعه فجأة حولها وقبّل خدها:

ـ حسناً سآتي، فمن المؤسف جداً تورطك في هذا كله.

ثم فجأة أدرك أن الساعة قد قاربت الخامسة كما تذكر أن لديه موعداً لرؤية مركب في الجهة الأخرى من البحيرة.

ـ مركباً؟ أتعني مركب سباق . .؟ أوجدت مركباً؟

شعرت بالسرور من أجله أما هو فهز كتفيه:

ـ لم أقرر شيئاً حتى الآن، فما زال المال عائقاً.

لم ترد على هذا، وساعدته في دفع قاربه إلى الماء.

ثم سمعا صوت مركب بخاري يتقدم نحو الرأس . . آه، لا إنه يخت . . يتجه إلى رصيف البلدة. ولكن اليخوت لا تتخذ هذا الطريق عادة. ترى هل رآهما من عليه؟ ربما كان قيدل، لكن ما إن أصبح اليخت بعيداً حتى تعرفت أورسولا إلى رونا.

غاصت أورسولا خلف القارب:

ـ انحنِ انزل إلى تحت! إنها الكونتيسة . . ولو شاهدتك.

ضحك ريكو:

ـ لن تتعرف إلى أحد من هذه المسافة . . فلا تقلقي . . تعالي . .

ـ أراك غداً هذا إن لم يكن الطقس سيئاً.

لم تلاحظ أورسولا هبوب الريح. وقفت تراقب القارب الصغير يختفي ثم لوحت بيدها حتى توارى عن الأنظار. تنهدت أخيراً، مقررة أن من الأفضل لها أن تعود . . أين وضعت صندلها؟

ـ أهذا ما تفتشين عنه؟

سألها ذلك السؤال شخص غير متوقع فشهقت، ثم أطلقت صيحة



www.elromancia.com

رعب وتقدم طيف طويل مألوف من وراء صخرة مشرفة.. إنه فيدل.

تمتمت: «لقد أرعبتني. جئت أسبح.. الطقس حار جداً».

منذ متى وهو هنا؟ ماذا شاهد بالضبط؟ ماذا سمع؟ أكملت بصوت مخنوق:

«أظن أن العاصفة قادمة».

كان خوفها ظاهراً ومع ذلك لم يلن وجهه القاسي. راح يقترب منها مقصراً المسافة الفاصلة بينهما.

توقف على بضع خطوات منها يدلي الصندل وكأنه طعم. ولكنها كانت خائفة مما قد يحدث إن مدت يدها لتأخذه.. أخيراً مدت يدها.. وكانت هذه غلطة كبيرة.. التمع نور خطير في عينيه، وأمسك معصمها، ليأسرها في قبضته الحديدية.

ـ من كان؟ من هو صاحب اليخت الذي كنت تلوحين له مودعة.. أخبريني أورسولا..! من كان ذلك الرجل؟ كم مرة التقيتما؟ هل اتفقتما على اللقاء ثانية؟.. هيا.. لمَ أنت صامتة؟ أطلب رداً.. الآن!

* * *



## ٩ ـ المال لا يشتري القلب

ردت أورسولا ببرود: «اطلب ما شئت ولكن لا تتوقع مني رداً».

تحررت منه بعنف وتراجعت بضع خطوات: «لن أمنع غرباء قرروا الرسو هنا».

صرخ فيدل بها:

ـ لكن الجزيرة خاصة.. ويجب أن يقرأوا اللوحات. كان عليك أن تخبريه بنفسك.. أنت زوجتي أورسولا.. وأتوقع..

قاطعته: «ولكننا جميعاً نتوقع أشياء. توقعت أنك تزوجتني بسبب الحب لا بسبب الانتقام من رونا التي رفضت الزواج بك».

ـ عمَ تتحدثين.. ماذا قالت لك؟

ـ لا تنكر. أعرف الحقيقة يا فيدل زاراكوتشي.. العظيم.. لقد خذلتك الكونتيسة العظيمة لأنها فضلت مالها عليك. ألهذا سمحت لها بالمواظبة على المجيء إلى الفيلا؟ هل كان هدفك إظهار ما خسرته بعدم الزواج بك؟

ظهر خط أبيض رفيع حول فمه:

ـ سمحت لها بالمجيء لأنني ظننتك بحاجة إليها لتنظيم حفل البارحة.

ـ بالطبع أحتاج إلى مساعدة.. فأنا نكرة صغيرة.. لكن هذا لم ينجح.. أليس كذلك؟ لم تستطع إبعاد يديك عنها.. بعد عشر سنوات



www.elromancia.com

على علاقتك بها بتّ معتاداً عليها.

ـ أنت مخطئة.

ـ لست مخطئة!

ارتدت على عقبيها متوجهة إلى الشاطىء، ولكنه لحق بها. أمسك ذراعها وأدارها لتصطدم بجدار صدره الصلب:

ـ رونا رحلت.. لقد طلبت منها الرحيل.

ـ آه، عظيم! وهل لهذا أقل فرق؟

قاومت ثانية لتتحرر منه:

ـ لكننا نعرف أن فيلتها الصيفية لا تبعد سوى نصف ساعة بالسيارة.. وأعتقد أن «الجميع» يعرف ماذا يجري بينكما.. حسناً.. أنا الآن أعرف الحقيقة التي يعرفونها. أعرف سبب زواجك بي بالضبط.. ولقد اكتفيت!

ـ ماذا تعنين؟

كانت كلماته حادة وكأنها إطلاق النار.

ـ ظننتني أوضحت قصدي.

ازدرد ريقه: «أنت متعبة.. سنتكلم عن هذا لدى عودتي من لندن».

صاحت به: «لا تتوقع رؤيتي هنا لدى عودتك».

آه.. هذا لا يحدث حقاً؟ ولكن ما هو البديل لها؟ ستكون حياتها بؤساً إن بقيت!

أمسك ذراعها ثانية، وصاح بغضب شديد:

ـ أنت لا تعرفين ما تقولين.. أنت زوجتي في السراء والضراء، ولا تظني أبداً أنني سأسمح لك بالفرار عند الفرصة الأولى التي ترين فيها أن الأمور لا تجري حسب رغبتك.

تلوت أورسولا في قبضته ولكنه لم يتركها:



ـ لقد تزوجتني بادعاء مزيف، لذلك فالقسم باطل.. قل لي، كم من الوقت مر؟ كم من الوقت مرّ بعدما رفضت رونا الزواج بك.. كم من الوقت مر بين ما جرى بينكما وبين خطوبتك لي في باريس؟

ارتجف عضل في وجهه، فصاحت مجدداً:

ـ كم من الوقت؟

ـ حوالي أربعة أسابيع.

ـ أربعة أسابيع؟

أقل من شهر! ارتسمت صدمة كبيرة في عينيها الخضراوين.

ـ أتقصد أنك قبل أربعة أسابيع من مقابلتي كنت تنوي أن تتزوج رونا؟

ـ أجل.

ثم تنهد تنهيدة طويلة، وكان صوته أقل حدة وهو يضيف:

ـ لكنني لم أتزوجها، بل تزوجتك أنت.

ـ لم يكن أمامك خيار، فرونا لن تتمكن من الإنجاب بسرعة. بت أفهمك يا قيدل زاراكوتشي.. كنت تبحث عن امرأة مقبولة شكلاً على أن تكون وحيدة لكي تنجب..

اختنق صوتها قليلاً ثم أردفت:

ـ لكن هذا لم ينجح. فأنا لم أحمل.. واعلم أنني لن أكون سجينة في هذه الجزيرة في ما أنت تجوب العالم سيداً واعلم أيضاً أنه لا يهمني أبداً اسم عائلة زاراكوتشي.. سأتركك قيدل وإياك أن تظن أن بإمكانك الحؤول بيني وبين الرحيل.

ضحك.. ضحك فعلاً.. إذا كان مثل هذا الصوت الحاد الأجش يستحق هذا الاسم.

ـ لن تتركيني.. وإن حدث أن فعلت ذلك فهل تظنين أنه سيهدأ لي بال قبل أن أجدك.

في كلامه شر كامن أخافها، فكيف لفتاة مثلها الوقوف في وجه رجل كڤيدل؟

ارتجفت: «اذهب ودعني وحدي».

كانت الريح الآن تهب بقوة وكان فستانها على حاله رطباً فارتعشت ثانية.

ـ اذهب واتركني وشأني.. ربما اشتريت بمالك جسدي ولكنك لن تدخل قلبي أبداً.

بدا وكأنه على وشك أن يضربها.. ثم تلاشى غضبه وعنفه، وأصبح وجهه قناعاً مبهماً.. لم يكن في حركته عاطفة عندما مدَّ يده يلمس ياقة فستانها المفتوحة.. ولكن، لم يكن في عينيه رغبة أو سعادة.. وحين تكلم، كانت كلماته جافة قاسية:

ـ ما دمت أريد ابناً فأنت مضطرة للاعتراف بحقي في جسدك. ولكن أرجو أن تسامحيني لأنني لن أستغل ما هو معروض أمامي الآن.. والسبب أنه لا يجذبني.

حطم أورسولا الشلل الذي أنزلتها به عيناه، وضمت فستانها مجدداً فإن لم يذهب حالاً فقد تنهار أمامه.

ـ اذهب من هنا! اذهب! سافر إلى لندن.. وابق هناك القدر الذي تشاء!

ابتعد أخيراً فراقبته محطمة الفؤاد ثم لم تلبث أن انهارت على الشاطىء وأجهشت بالبكاء.

تعرضت بعد ذلك للرشح الذي رافقته حرارة أقعدتها في الفراش وكان هذا السبب الذي حال بينها وبين الرحيل.

مدت يدها إلى علبة المحارم الورقية.. ورتبت الوسائد عازمة النية على عدم الاستسلام للبؤس.. هل عاد ريكو إلى الشاطىء؟ لا مجال لمعرفة ذلك. ترى هل شاهد ڤيدل على الشاطىء؟ هل خاف



عليها، أم خاف على نفسه؟

في اليوم الثالث، نهضت من السرير وكانت حرارتها قد ولَّت فقررت الخروج علَّ الهواء العليل ينعشها. تمددت على كرسي تحت أشعة شمس أيلول الدافئة.. تتظاهر بالقراءة، وتحاول اتخاذ قرار بشأن ما ستفعله وبشأن الطريقة التي ستتخذها للهرب في حال عدل ريكو عن العودة.

لكن كلمات ڤيدل عادت تطاردها وتخيفها باستمرار، قال لها: «أتظنين أن العالم كبير لتختبئي فيه؟» هل سيجرها من المكان الذي تقصده؟ أيريد حقاً العيش مع زوجة ترفض الانصياع لقوانينه الخاصة؟

آه، ولكنها لا تريد الرحيل.. أسندت ظهرها إلى الكرسي وهي تشعر أن العذاب يمزق نفسها. أغمضت عينيها بشدة لتمنع الدموع، فسخرت أشعة أيلول منها. برقت عيناها فجأة. أيلول.. أيلول! ثم جلست.. هذا يعني أن آب انتهى.. آخر أسبوع من آب و.. ولكنها مخطئة.. هرعت إلى غرفتها حيث أخرجت المفكرة من حقيبتها: واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة هذا يعني أنها تجاوزت العشرة أيام..

جلست على طرف السرير بسرعة متسعة العينين.. مقطوعة الأنفاس، تبتسم بانفعال.

ترى ماذا سيقول ڤيدل؟ ماذا سيقول؟

وقعت الحقيقة على رأسها كحد السيف. لقد نال الآن ما يريد، فإن كان المولود ذكراً فلن يضطر إلى الادعاء بأنه يحبها، لأنه يعلم أنها ستضطر للبقاء هنا إلى الأبد. فلن تنكر الأم أبداً حق ابنها في منزل كهذا، وميراث كهذا؟

إنما، هل المال والمركز هما كل شيء؟ ترى ما هي الحياة التي سيحياها الطفل بين أبوين متضادين؟ وماذا إن أرسله ڤيدل إلى مدرسة داخلية وتركها وحيدة هنا؟

إنه وقت القرار.. وتسللت إلى الشاطىء ولكنها لم تجد أثراً لريكو.. رأت يختاً فتساءلت هل عاد ڤيدل؟

ركضت إلى الرصيف عندما كان اليخت يرسو. فلاحظت حركة في القمرة التي أخرجت منها حقائب ثم رأت امرأة تتحدث الإنكليزية وتطلب من الخدم الحذر في حملهم شيئاً.. ارتدت أورسولا إلى الوراء لأنها تعرفت فجأة إلى الصوت.

ـ حبيبتي.. ها أنت! ما أسعدني برؤيتك! عندما اتصلت بك أخبروني أنك تتنزهين.

لم تستطع أورسولا إلا الوقوف هناك فاغرة فاها. ماذا تفعل إيما هنا؟

ـ يا لها من مفاجأة جميلة! هل جئت من نيس أم فينيسيا؟

أمسكت إيما ذراع أورسولا وكأنهما صديقتان:

ـ لا تكلميني عن نيس فقد كانت رهيبة.

ولكن عينيها كانتا تحطان على كل شيء لاستيعاب المنزل العظيم والحدائق المدرّجة والزهور الغريبة.. والترف.

عندما أوصلتها أورسولا إلى غرفتها قالت إيما:

ـ يا إلهي كم تغيرت!

ـ كنت سأرسل لك بعض الزهور.. لو علمت بقدومك..

ـ لم أخطط للمجيء..

خلعت إيما سترتها:

ـ لا.. لا.. لن أزعجك بالتفاصيل.. حين أفكر في ذلك الرجل الشرير..

ـ إذا كنت لا تريدين الكلام عن الأمر..

من الواضح أنها كانت تريد الكلام: «أنت تعرفين أنهم كلهم سواء».

وأردفت تسرد آخر أخبار علاقتها التي انتهت.. ويبدو أنه نفسه



الذي أتت برفقته إلى حفل زفافها في باريس..

ستتحمل أورسولا وجود إيما من أجل ذكرى والدها ولكن صوتاً ما في داخلها أنبأها بأنها تفعل ذلك من أجل نفسها فقط إذ ستتخذ من وجود إيما عذراً حتى لا تترك ڤيدل.

كانت إيما تكمل قصتها:

ـ.. هكذا، حين حصل هذا، أيمكنك تصور كم أصبت بالذعر.. لقد ذهب كل شيء!

أجفلت أورسولا لأنها لم تكن تصغي إليها.

ـ كل شيء؟

يا الله! ما الذي كانت تقوله إيما؟ ما الذي ذهب؟

ـ حسناً، ليس الشقة بالطبع أما أموالي المستثمرة وآخر ما حصلت عليه من مال تأمين أبيك فقد ذهب.

ـ هل تعنين...

قاطعتها إيما: «لا تقولي إنه اختلسها فلست على هذا القدر من الغباء.. لقد كان استثماراً حقيقياً.. لقد أخبرني ذلك هو نفسه. ولكنه لم يكن استثماراً حقيقياً».

بدأت أورسولا ترى الصورة.. كانت إيما تضارب في البورصة بمساعدة «صديقها» وخسرت:

ـ وماذا بعد؟ أعني، هل تركك ورحل؟

ـ وهل هناك رجل يجرؤ على تركي؟ آه، لا بل أنا التي تركته.. تركته لأنه غبي مسكين لا يعرف كيف يهتم بنفسه، فكيف يهتم بي. وأنا أرفض العودة إلى لندن بهذه السرعة.

ـ وما عن.. صديقتك التي كنت تسافرين معها؟

ـ اقترحت علي العودة إلى لندن لأبحث عن عمل. عندما تقعين في مشكلة ما تعرفين من هو الصديق الحقيقي!



www.elromancia.com

همست: «هذا ما أظنه».

ـ ثم.. يقال، إن الدم أثقل من الماء!

ابتسمت أورسولا:

ـ يؤسفني ألا يكون ڤيدل هنا ولكنه عائد غداً.. وأنا واثقة أنه سيقدم لك النصح سعيداً.

ـ كنت أعلم أن هذا ما ستقولينه!

تقدمت إلى أورسولا تحضنها بقوة وتصلب، وخجل:

ـ ثم ستكلمينه.. أليس كذلك؟ وسيبدو الأمر أفضل إذا ما سمعه منك.

ـ مني؟

ـ أورسولا حبيبتي لا تكوني ساذجة. هذا لا يناسب صورتك الجديدة.. أما الآن، فلندخل ولنتكلم عما كنت تفعلينه..

لكن الأمر لم يكن أفضل في الداخل.. فقد بدأت أورسولا تدرك سبب مجيء إيما.. لم تأت بهدف قضاء عطلة قصيرة بل بهدف اقتراض المال من ڤيدل.

دخلتا، وأقفلت أورسولا الباب الزجاجي.. ولكن لدى اقتراب يخت ما من المرفأ تشتت أفكارها.

ابتعدت عن الباب وتقدمت إلى حيث تجلس إيما على الأريكة:

ـ ثمة أمور لا تعرفينها. اسمعي أنا لا أستطيع أن أطلب من ڤيدل شيئاً.

ردت إيما بحدة: «ماذا تقصدين بأنك لا تستطيعين طلب شيء منه أنت عروسه فكيف يرفض لك طلباً؟ هل ندم على زواجكما المتسرع؟»

قالت كاذبة: «ليس الأمر كما تقولين».

ـ إذن، ستعطيني أنت المال.

ـ أنا؟



ـ بالله عليك توقفي عن ترديد هذه الكلمة؟ أنت زوجته وما المال بعائق.. أعطيني بعضاً من ماله وهذا أقل ما عليك فعله.. لا شك أن والدك توقع منك الاهتمام بي.. وأنا أتوقع منك ذلك خاصة بعدما خدعني والدك بادعاء الثراء.

ردت أورسولا بسخط: «لم يخدع أبي أحداً، كيف تجرؤين على التلميح بذلك في بيتي؟».

يا الله! لم يمضِ على وجود إيما خمس دقائق وها هما تتشاجران مرة أخرى.

سمعت صوتاً ما على الشرفة، لكن أورسولا تجاهلته حين شهقت إيما قائلة:

ـ منزلك؟ حقاً؟ إذا كان منزلك فلا مشكلة إذن. إن لم تكوني قادرة على جمع المال فبيعي شيئاً.. لقد قلت لي إنك ستتزوجين ڤيدل زاراكوتشي طمعاً بماله ولكن ما فائدة ذلك إن لم تستطيعي وضع يدك على مبلغ صغير من وقت إلى آخر؟

اتسعت عينا أورسولا الخضراوان غضباً واستياء:

ـ أنا لم أقل قط...

ثم صمتت لأنها شعرت بأن أحدهم يتقدم من جهة الشرفة فالتفتت بحدة راجية الله ألا يكون قد سمع حديثهما أحد. أديلغي القادم؟ ولكن القادم لم يكن ديلغي بل ڤيدل الذي وقف بباب الشرفة متجهماً، بارد العينين.

شهقت أورسولا: «ڤيدل يا لها من مفاجأة! لم أتوقع مجيئك قبل الغد».

تقدم قائلاً: «هذا ما أراه واضحاً».

لثمها على وجنتها بفتور فأرادت في لحظة مجنونة يائسة أن ترمي ذراعيها حوله.. أرادت أن تضمه لتقول له إنها تنتظر مولوداً، ولكنه

كان قد تركها ودنا من إيما يحييها.

سألت أورسولا وهي تقاوم للمحافظة على المظاهر أمام إيما:

ـ كيف.. كيف حال لندن؟

رمى حقيبة أوراقه على كرسي.. بدا متعباً، وجذاباً. إنه رجل خطير.. لكن متعب.

ـ لندن؟.. لندن كانت.. ناجحة. هل اتصل المصرف بي؟ كنت في مكان لم يستطع أحد الاتصال بي.

ردت: «لا أدري إن اتصل بك أحدهم».

لم ترد أن تخبره أنها كانت في الفراش بضعة أيام.. إذن، إن لم يكن يقوم بعمل للمصرف، فأين كان؟ أين.. ومع من؟ خطر ببالها فجأة أنها لم ترَ رونا عدة أيام..

لف التوتر الغرفة، وكان من المذهل أن تبقى إيما باردة هادئة.. لماذا قالت الكلام الرهيب الذي قالته؟ أقالته عمداً ليسمعه ڤيدل؟ بالطبع.. ولهذا السبب تحس أورسولا بالحقد يتآكل تلك النفس المستترة وراء مظهر خارجي معقول، متمدن.. ولكن، هل صدّق ما قالت؟ أحست أورسولا فجأة بأن عليها الابتعاد من هنا.. فكل ما يحدث، مؤلم...

ـ هلاَّ عذرتماني؟ أريد أن أرى الخدم في المطبخ.

وابتعدت هاربة بالفعل من الغرفة.

لكن ڤيدل كان ينتظرها حين عادت من السلم الخلفي.. توقفت أمامه وأخذا يتبادلان النظرات.. ثم قالت: «أنا...» أرادت أن تردف، لم أتزوجك طمعاً بمالك، غير أن تعابير وجهه الباردة حالت دون ذلك. فقالت: «لم أعرف بقدوم إيما».

لم يكن ما قالته بديلاً لائقاً. قال وكأنها لم تتكلم: «حملت معي أشياء تخصك».



ـ ماذا تعني؟

إنه لا يقصد هدية بالطبع!

ـ إنها في مكتبتي!

وارتد على عقبيه فلحقت به. كانت الغرفة مظلمة، والستائر مسدلة ففتحتها ثم سمعت صوتاً من الردهة، ودخل ديلغي ورجل آخر من العمال يحملان قفصاً خشبياً صغيراً.

قالت أورسولا: «هل اشتريت لوحات؟».

تعرف أن شراء اللوحات أحد نقاط ضعفه.

ـ أتقصد أنها لي؟

لم يقل شيئاً.. بل فتح الغطاء وأخرج اللوحة الأولى.. كانت صغيرة إطارها صغير عليها غطاء ما.. فتحها وأعطاها إياها.

حدقت أورسولا إلى اللوحة فترة طويلة. ثم أخرج ڤيدل لوحة أخرى، فأخرى حتى بلغ العدد ستة.

طفرت الدموع من عينيها بحيث لم تعد ترى شيئاً..

ـ لا أصدق!

بدا صوته قادماً من مكان بعيد: «أهي اللوحات؟»

هزت رأسها.. ها هي لوحات أمها الحبيبة أمامها.

ـ كيف.. كيف وجدتها..؟

هز كتفيه بلا مبالاة ثم أردف بصوت بارد.

ـ لدي نفوذي.

نفوذ؟ ألدى ڤيدل زاراكوتشي نفوذ يجعله قادراً على تعقب ست لوحات مغمورة ربما كانت في مخزن عتيق في حي فقير؟ إن كان قادراً على جلب لوحات كهذه فماذا عن جلب شخص ما كزوجة هاربة؟

أصابها الرعب، بحيث لم تعد تستطيع الكلام أو الحركة.. كانت تعرف أنها تزوجت رجلاً ثرياً ولكنها لم تستطع التصور أن له هذه اليد



www.elromancia.com

الطولى.

إن كانت ستتركه فليكن ذلك قريباً.. فما إن يعرف بأمر حملها حتى يصبح من المستحيل عليها الاختباء في أي مكان.

أخيراً.. وبعد طول صمت، أدركت أن عليها أن تقول شيئاً.. أن تشكره.. لكن، حين استردت وعيها، ونظرت حولها بغباء في الغرفة لم تجده فيها.

* * *



## ١٠ ـ الليلة الأخيرة

وجدت أورسولا ڤيدل في غرفته.. ولأنه لم يسمعها حين وصلت وقفت في الباب لحظات، تنظر إليه، وفيها توق إلى أن يعود كل شيء إلى ما كان عليه.. كان يتحرك برشاقة خطيرة.

فجأة عرف أنها هناك، فرفع بصره بسرعة فإذا عيناه قاسيتان زرقاوان تسجلان.. ماذا؟.. خيبة الأمل؟

قالت مرتبكة: «لم تمهلني الوقت لأشكرك».

أنبأتها غريزتها بأن هذا الوقت مهم جداً. إذا كانا سيقرران الاستمرار بالزواج فهو أنسب وقت.

سألها خالي الوجه من المشاعر متوجهاً إلى حقيبته ليخرج منها الأغراض.

ـ كم من الوقت تحتاجين؟

وقفت أورسولا في منتصف الغرفة، تتلاعب بحزام فستانها متوترة.. وحاولت أن تشرح له مرة أخرى:

ـ لم أعرف أنها قادمة. لقد وصلت على حين غرة.

لا رد أو مساعدة بل راح يخرج آخر شيء في حقيبته.

ـ إنها مفلسة..

أقفل سحّاب الحقيبة، يتركها لديلغي ليبعدها:

ـ حقاً؟



www.elromancia.com

- إنها تريد مني أن أقرضها بعض المال.

يا رباه! لماذا يصعّب عليها الأمر؟

- حسناً؟ لماذا تقولين هذا لي؟ أعطيها المال إن كنت تريدين ذلك. أنا لا أضع الحواجز في ما يتعلق بالمال أورسولا . . اعتبري المبلغ إن شئت ثمناً «لخدمات» قدمتها لي . .

ردت بحدة: «أنت تحرّف كل شيء . .».

- أنا لا أحرّف شيئاً . . ألم تقولي إن إيما تريمان تريد بعض المال . . وماذا عني؟ ألم أقل إن القرار يعود إليك؟ ماذا تريدين؟ هل أنفقت كل مالك؟ أتريدين المزيد؟

ردت: «لم أنفق من مالك إلا القليل، ألا ترى أنني سجينة في هذا المكان؟».

- سجينة.

- لم أقصد . .

ظهر الغضب على وجهه:

- بلى، قصدت . . ماذا تقصدين بلفظة «سجينة»؟ أتقولين إنني أحبسك هنا رغماً عنك؟

- أنت تجول العالم مستمتعاً . . .

رفع حاجبه، فأردفت:

- وتتركني هنا عالقة حيث لا أنيس أو . . .

صمتت، عندما أخذت عيناه تجولان في الغرفة وفي ما وراءها من مناظر ساحرة.

- أرى أن ما يحيط بك يقبض الصدر حقاً . .

- أنت تتعمد إثارتي . . ! لأنك تعرف تماماً قصدي . . فما يحيط بي لا يهم . .

قاطعها مردفاً عنها: «ما دام المال متوفراً».



لكنها أرادت أن تقول إن الناس هم المهمون. بعد مقاطعته المريرة لها، انحبست الكلمات في حلقها فحدقت إليه برعب . . لقد صدّق فعلاً ما قالته إيما. يا لسخرية القدر! يتوهم أنها تزوجته طمعاً بماله أما المرأة الأخرى فلم تتزوجه من أجل مالها.

- يبدو أنك تختار دائماً المرأة غير المناسبة . . أليس كذلك؟

ارتدت عنه بسرعة لتخرج من الباب ولكنه وصل إليه قبلها . . وأمسك بذراعها يديرها إليه والغضب البارد، المتباعد، انقلب إلى غيظ قاتم عنيف: «ماذا قلت؟»

كانت همسته الثقيلة مخيفة . . وكرر:

- ماذا قلت أورسولا؟ إنني أخذت المرأة غير المناسبة؟ أهذا ما أنت مؤمنة به؟

كانت أصابعه تؤلم ذراعها . . وظهر ألم جهنمي على وجهها، مما زاد من سعادته . . شدت نفسها مبتعدة:

- اتركني وشأني وفكر في ما تشاء!

كانت قريبة منه بحيث شعرت بالإثارة المعتادة المألوفة تشعل أوصالها . . لكنها صاحت:

- لم أطلب من إيما المجيء . . إنها تريد مالك العفن أما أنا فلا أريده. لن تشتريني به أبداً!

بدت على وجه قيدل الصدمة هنيهة ولكن لم تلبث أن اشتدت شفتاه وسأل بحشرجة:

- إذن . . ماذا تريدين أورسولا؟

وقفا يتبادلان النظرات، والتوتر يشب وثباً بينهما. لم يكن هناك ما يمكنها قوله وإن لم يعرف الآن ما تريد، فلن يعرف أبداً . . لقد انتهى كل شيء . . فكرت في الطفل، وكادت تنهار أمامه وتخبره. كادت تتوسل إليه حتى يحبهما. ولكن الطفل كان السبب في القوة التي



www.elromancia.com

جعلتها ترفع رأسها عالياً تحدّق مباشرة إلى عينيه الزرقاوين العميقتين القاسيتين. كانت تريد أن تقول:

ـ سأقول لك ما أريد.. أريد لطفلنا أن يولد في عالم ملؤه الحب والأمان.

لكنها لم تستطع أن تقول هذا.. ولن تستطيع..! فتنهد فيدل، وكشّر عن وجهه بشكل غريب:

ـ يبدو أنك لا تعرفين ما تريدين.

كان يقف أمامها.. يريد منها أن تبوح بما يعذبها. لماذا؟ أليتمكن بعد ذلك من تحطيم آخر آمالها؟

«أحبك.. وأريد أن نعود كما كنا في البداية».

لكن الكلمات ظلت في نفسها. حاولت مراراً وتكراراً ولكنها كانت تتراجع دائماً بسبب دورانها في دوامة الأمل واليأس. أخيراً قالت:

ـ حين وافقت على الزواج بك.. لم أعتقد أن الأمر سيكون هكذا.

عاد إلى صوته الهدوء:

ـ وأنا كذلك لم أكن أعتقد أن الأمر سيكون هكذا.

كادت أورسولا تسمع تفكيره بصخب:

ـ من الأفضل أن أعود إلى إيما.. ستتساءل..

نفذت عيناه الزرقاوان إلى نفسها، وكأنه يعرف السر الذي تخفيه.. أخيراً أبعدت عينيها عنه، فارتسمت بسمة متوترة على شفتيه. قال ينهي حديثهما بكل سهولة:

ـ بكل تأكيد.. عودي إلى زوجة أبيك. وأرجو أن تعتذري نيابة عني لأنني لن أتعشى معكما الليلة لأنه لدي عمل.

تحركت أورسولا إلى الباب، مرتبكة، تعسة إلى درجة البؤس ثم التفتت تعض شفتها لئلا ترتجف.



ـ شكراً لك على اللوحات.. لا يسعني نسيان المفاجأة.

لكنه لم يسمعها، فقد رن جرس هاتفه الخاص. عندما كانت تهم بإغلاق الباب سمعته يتحدث بالإيطالية، وكانت الكلمة الوحيدة التي فهمتها: رونا! تلك الليلة لم تره ثانية!

توارت شمس الصباح خلف الغيوم فارتجفت أورسولا. سألها ريكو وهو يحرك بعض الحصى بقدمه:

ـ هل هذا ما تريدينه حقاً؟

أطرقت برأسها إلى يديها المتشابكتين، وقالت بهدوء:

ـ إنه الحل الأمثل.

التقط ريكو حصوة ورماها في الماء..

ـ أنت لم تأتِ إلى هنا منذ أيام.. (سألها)

بمن يذكرها بهذا العبوس؟.. وتابع:

ـ قلقت عليك.. ظننت أن زوجك شاهدنا.. وأنه يغار.

حاولت أورسولا أن تضحك.. فالغيرة ليست الكلمة المناسبة.. وقالت:

ـ أنا من يجب أن يغار.

نظر إليها بارتباك فأردفت بعد قليل:

ـ رجاء تعال غداً باكراً لتصحبني.

ـ إلى أين؟

هزت كتفيها: «إلى باريس أولاً. أما بعد باريس...»

ثم أدركت أن عليها ألا تقول شيئاً فلفيدل نفوذه.

ـ قد لا أذهب إلى باريس.. في الواقع لا أدري حقاً..

سألها: «أتشكين فيّ؟»

لم يكن في صوته غضب بل أمر واقعي حتمي.. عبست أورسولا لأنها أدركت أن لدى هذا الرجل سراً ما. ريكو دوريانو.. من أين أتى؟

وماذا يفعل هنا حقاً؟.. وما دوافعه؟

تلك الليلة شعرت أورسولا أن شيئاً ما يكاد يدفعها إلى الجنون. إنها الآن في فراشها المزدوج العريض.. تلوت، تقلبت، ورغبت أن يكون قُيدل معها.. وعادت ذكرى عذابها تلاحقها.. وشعرت بالوحدة وبالشوق إليه كما شعرت بالفراغ والبؤس لمعرفتها أن زوجها ينام في غرفته وحيداً. صدقاً.. من سمع في هذه الأيام برجل وزوجته يعيش كل منهما في غرفته الخاصة؟ إنها الآن ترغب فيه وتريده بغضب أعمى، أرادت أن يحبها وأن يشاطرها فراشها وأن يعاشرها كزوج ليلة بعد ليلة.. كما أرادت لطفلهما أن يتربى في بيت لا في مجرد منزل. وإن لم تستطع الحصول على هذا كله، فهي إذن، لن تستطيع البقاء معذبة نفسها بقربه منها. لن تستطيع تحمّل رنة صوته القوي وهو يتحدث إلى امرأة أخرى. لا يمكنها أن تعرّض نفسها لمثل هذا العذاب..

إن البديل الوحيد أمامها هو الرحيل مع ريكو الذي سيقلها في الصباح الباكر إلى البر.

كانت زوجة أبيها قد سألتها بعد الغداء:

ـ أثمة خطب ما بينك وبين زوجك.

ـ ماذا تعنين؟

ـ لا شيء حبيبتي ولكن هل تحدثت إلى قُيدل بشأن ما كنا نتحدث عنه؟

ـ أجل.. أعني...

ـ وماذا قال؟

ـ أنا.. إنه.. لم يقرر شيئاً.

لكن إيما لم ترتدع وقالت بخبث:

ـ لا أستطيع الانتظار ولكن ما رأيك لو جعلنا زيارتي هذه زيارة عائلية صغيرة؟



وكان أن تحملت أورسولا ضغط رفقة إيما محاولة الرد على أسئلتها ولكن فكرها كان يعيش في دوامة كبيرة. إنه نهارها الأخير والليلة الأخيرة في الفيلا، فغداً ستكون في مكان لا يعلم ما هو سوى الله.

تسللت هذه الفكرة إلى نفسها ببطء. في البداية كانت مجرد تذكر عادي، بعدما انضم قُيدل إليهما.. قدمت له فنجان شاي ثم لمّا اقترب من النافذة تنسمت عطر ما بعد الحلاقة.. وهكذا ولدت في رأسها الفكرة التي راحت تكبر وتكبر.

وقت العشاء تطورت الفكرة حتى أصبحت رغبة حارقة وحاجة يجب أن ترضيها وتهدئها للمرة الأخيرة..

بدأ قلبها يتحطم.. فالليلة يبدو قُيدل.. قُيدل.. قُيدل زاراكوتشي بشكل بارز: الارستقراطي الثري المدينيّ الشديد الثقة بالنفس، الرجل الساحر الرائع المتواضع. أليس تواضعه هو ما جذبها إليه؟ عندما كانت تجلس إلى المائدة تذكرت الغداء البسيط في اللوفر، ونزهة السين التي بدا فيها راغباً في إسعادها.

أكان كل ذلك ادّعاء؟.. ارتشفت قليلاً من كوب العصير أمامها، لأنها شعرت بحلقها يجف فجأة.

سألها قُيدل: «هل أنت بخير؟»

تقسم أنه كان مستغرقاً في محادثة إيما..

ـ أصبت بالرشح أثناء غيابك.. هذا كل شيء.

أدركت متأخرة أن الزوج في الظروف الطبيعية كان سيعرف مسألة مرضها منذ ليلة أمس.

ولم تفت هذه الملاحظة إيما فأخذت عيناها الحادتان تنتقلان من واحدهما إلى الآخر، ثم أخفت ابتسامة تحت منديلها وقالت: «أتمنى ألا يكون شجار ما قد وقع بينكما بسببي».

وهذا ما زاد الأمور سوءاً، ففي ما تبقى من الأمسية لم تفارق عيناه أورسولا.. وأخذت تتساءل عن الشيطان الذي دفعها إلى اختيار هذا الثوب بالذات، الثوب الذي تعرف أنه يحبه كثيراً.

قدم ديلغي القهوة لهم في غرفة الجلوس وهناك صبَّ ڤيدل القهوة لنفسه ولإيما ثم التفت إلى أورسولا.

ـ أتريدين القهوة؟

هزت رأسها إيجاباً.. ولكن شفتيها ارتجفتا فقد تذكرت أنها وضبت كيسين يعجان بالملابس وهما الآن في مكان ما في غرفتها.

أنهت قهوتها ثم توجهت لتضع الفنجان على الصينية. وحذا ڤيدل حذوها فاصطدما معاً، عندها همست أورسولا آلياً: «آسفة».

أمسك ڤيدل ذراعها بلطف فإذا أصابعه دافئة حازمة: «هل أنت بخير؟»

ـ طبعاً.

ـ هل أبعد إيما.. أنا مؤدب معها من أجلك.

همست: «لا».

هذا كله جنون. ها هما زوج وزوجة يهمسان سراً في الزاوية علماً أنه لا يحبها فهو لا يريد سوى رونا التي تنسجم مع حياته الكبيرة..

ـ أنا.. فقط متعبة قليلاً..

قال بصوت عميق أجش: «لماذا لا تأوين إلى فراشك؟».

أحست أن عينيه تريدان منها التطلع إليه.. ففي نبرة صوته رنة تعرفها جيداً.. رفعت عينيها نحوه فوجدت فيهما ما يقول: سآتي إلى غرفتك. أوليس هذا بالضبط ما تريده وتفكر فيه طوال المساء؟

قالت: «أظنني سأفعل».

ثم نادت عالياً: «أعتذر إيما لأنني سآوي إلى فراشي باكراً».

غادرت الغرفة بدون أن تنهار. لقد انتهى هذا النهار وليس عليها



إلا انتظار احتضار الليل.

هل تجرؤ على الرحيل؟ فلنفترض أنه لا يريدها؟ كيف ستتمكن من العيش مع الذل؟ ربما كان اهتمامه بها بسبب وجود إيما.. استلقت في الفراش قلقة تصغي لوقع الأقدام.. تتساءل كيف تمضي إيما وقتها معه.. غريب.. إنها لا تشعر أبداً بالغيرة من زوجة أبيها..

أخيراً سمعت وقع قدميه على سجادة غرفة الملابس أولاً، كعادته.. تصورته يخلع ملابسه رامياً كل شيء في سلة الغسيل، واقفاً هناك حيث تظهر بوضوح عضلاته المفتولة.

أغمضت عينيها بشدة ولكن الصورة لم تختفِ.. أرادت أن تمد يدها لتتلمسه.. أرادت أن يكون هنا إلى جانبها.. أن تحس بثقله قربها.

انسلت صرخة قصيرة من فمها. ثم بدأ قلبها بالخفقان وتدفق الدم غزيراً في عروقها. ليته يفتح الباب! ليته يأتي إليها! ولكن هل ستجد القوة للرحيل بعدما تقضي معه ليلة أخرى؟

ولم يدخل.. بعد قليل انطفأ النور في غرفة ملابسه.. لكن هذا لا يعني أنها لا تستطيع الذهاب إليه! نهضت من السرير، تقاوم الأغطية التي كانت تحاول أن تمسك بها.. أضاءت النور، وتقدمت إلى المرآة الطويلة.. ألن يرغب فيها؟ نظرت إلى صورتها بعين منتقدة متذكرة ليلتهما الأولى معاً. أحست بحرارة الذكرى وتطايرت شرارات الإثارة من أعماقها.. إن لم يكن ما كان يفعله بها حباً، فهو تقليد رائع للحب.. ولكن الرجل غير مضطر إلى هذه الدرجة من التقليد؟ وهل تؤثر فيه الذكرى أيضاً؟ ترى هل سيستطيع مقاومتها في ما لو تسللت إلى فراشه؟

مررت أصابعها في شعرها الأشقر، ورطبت شفتيها.. تتذكر تلك الأسرار المعتمة الرائعة التي علّمها إياها.. ثم تجهم وجهها.. إنها

تعرف جيداً أنها لن تستطيع قضاء هذه الليلة بالذات بمفردها. لن تستطيع! يجب أن تستغل فرصتها الأخيرة ولتضرب بعد ذلك النتائج عرض الحائط.

لكنها لم تجد الشجاعة للتوجه إليه في غلالة النوم الشفافة.. فكان أن وضعت روبها الرقيق وربطت أشرطته الصغيرة بأصابع مرتجفة.. ثم تسللت على رؤوس أصابعها إلى غرفة الملابس.. وأطبقت يدها على أكرة بابه ثم أدارت الأكرة ببطء وهدوء فانفتح الباب، كانت تعج الغرفة في ظلام دامس.. ظنت للوهلة الأولى أن لا أحد فيها.. ولكنها سمعت حركة، وصوتاً مخنوقاً من السرير.. فجأة ومض النور، ووجدت قيدل يستند إلى مرفقه شاخصاً بصره إليها.

لم تستطع الكلام.. وبدا أنه كذلك لم يستطع الكلام.. لكنه على الأقل لم يطردها من غرفته.. تشجعت قليلاً ثم أغلقت الباب ببطء خلفها وتقدمت إلى السرير. لحقت بها العينان الزرقاوان وهي تتوجه إلى السرير. لم تتردد سوى لحظة. كانت أناملها على غطاء الفراش وعيناها في عينيه تتوسلان إليه ألا يرفضها.

ولم يرفضها ولكنه لم يساعدها أيضاً. أخيراً تسللت إلى جانبه. مرتجفة، عندما لم يقترب منها أو يلمسها شرعت تفك أربطة روبها الحريري.

راقبها تفك الرباط الأول فالثاني ولمَّا لم يتحرك شعرت بالتوتر الذي تأرجح كالحاجز بينهما.. كان وجهه جافاً خشناً، وعيناه باردتين متعبتين. علق الرباط الثالث في عقدة وعضت أورسولا شفتيها محبطة. ارتجفت أناملها كثيراً بحيث عجزت عن التعامل مع الشرائط الرفيعة.. أخيراً، صاحت منزعجة، ورفعت بصرها إليه. ولكنها لم تستطع قراءة ما في عينيه من تعبير.. بدا وجهه غاضباً، مذهولاً، مزدرياً.. ولكنه كان يريدها.. أحست بمعركة ما تجري بين أحاسيسه



المتضاربة.

أخيراً تحرك مادّاً يديه إلى روبها.. وسرعان ما سمعت صوت تمزق حاد. وكان هذا كل ما فعله. لم يقل لها شيئاً، ولم يتحرك نحوها.. بل عاد يستلقي مستنداً إلى مرفقه.. ولكن النور في عينيه تغير.. فالقسوة الخبيثة أصبحت تحدياً قابلته بتحدٍ آخر. فراحت تنزع ببطء الحرير عن كتفيها.

لقد فعلت ذلك مراراً من قبل، وكان قيدل كلما فعلت ذلك يسارع لدفن وجهه في صدرها ويجذبها معه.. لماذا لا يفعل هذا الآن؟ ماذا تستطيع أن تفعل غير هذا؟.. اقتربت منه ببطء تعانقه عناقاً بطيئاً سريعاً ثم أعقبته بعناق آخر.

مد يده بعدائية يرفع يده إلى ظهرها.. فجأة لم يعد يستطيع مقاومة المد الجارف الذي تصاعد ليغرقهما معاً.. تأوهت أورسولا قائلة في نفسها إن كل شيء سيسير على ما يرام..

أخيراً كسر الصمت بصوت عميق قوي فيه طيف انتصار.

ـ كنت أعرف أنك لن تتمكني من البقاء بعيدة، فأنت تعرفين تماماً كيف تجري بيننا الأمور التي ستدوم إلى الأبد.

تأوهت.. أجل.. إنها تعرف.. تعرف أنها إذا لم ترحل غداً فلن تشعر بالطمأنينة أو هدوء البال أبداً كما تعرف أن حياتها ستكون سلسلة عذابات كهذه الليلة.. ليال يعجزان فيها عن إنكار حاجة كل منهما إلى الآخر، يعقبها أيام من عذاب التساؤل عمن تكون معه الآن..

لم تستطع أورسولا إلا التمسك به والدموع في عينيها، تعض شفتها، مقطوعة الأنفاس، غاضبة ومع ذلك راغبة في حبه، بل في مجرد وجوده معها..

بدا لها نائماً.. فمدت يدها تغطيه. أحست بثقله وبروعته. استلقت إلى جانبه تستمتع بكل لحظة رائعة، ثمينة. ملست شعره

الأشعث وتركت أصابعها تنسل إلى كتفيه.. لكن كل هذا ليس صحيحاً.. إنه مجرد ادعاء.. إنها بكل بساطة تخدع نفسها.. تتظاهر أنهما دافئان وقريبان، والواقع أن قيدل بقي في عالمه الخاص.. رغبته فيها لم تزد عن كونها رغبة رجل في امرأة جذابة.. وهل هناك رجل قادر على رفض عرض مغرٍ كهذا؟ ما حدث لم يعن له شيئاً أمّا لها فآه.. لأن ما حدث سيبقى حياً في ذاكرته.

* * *



# ١١ ـ أرجوك اتركني!

أخيراً، نام قيدل.. واستلقت أورسولا قربه في السرير الكبير مرهقة.. مع ذلك، كان العذاب يحول بينها وبين الراحة.. إنها مجنونة بالطبع لأنها حكمت على نفسها بحياة ستكون فيها دائماً المرأة الثانية.

نظرت بحب إلى الشعر الأشعث الأسود على الوسادة.. حسن جداً.. لقد تزوجها لأسباب خاطئة فهو ما زال يحب رونا وعليها التعايش مع هذه الحقيقة، فبعد السحر الذي تذوقته البارحة، عرفت أنها لن تجد القوة للرحيل. أغمضت عينيها، متذكرة كيف عبدها حباً وكيف استطاع أن يأسرها في عالم من صنعهما فقط.. وإن لم يكن يحبها قولاً فهو يحبها عملاً.. حسناً، إن لم يكن ذلك الحب الذي توقعته فهو حظها العاثر لأنها تعرف الآن أنها لن تكون سوى المرأة الثانية في حياة قيدل الذي ستتلقى منه ما تلقته الليلة.. كيف لا ترضى المرأة بمثل هذا الرجل، وتحت أية شروط؟

تسلل ضوء الصباح الرمادي من وراء الستائر فأدركت أورسولا كم تأخر الوقت.. يا الله! ربما ريكو هنا الآن! عليها بطريقة ما الذهاب إلى الشاطىء لتقول له إنها ليست راحلة.

لم يكن التسلل من السرير، وارتداء الجينز أمراً سهلاً.

سمعت صوتاً في الردهة، فسارعت إلى الباب.. جيد.. لقد



www.elromancia.com

ذهبت الخادمة، وأصبحت غرفة الجلوس خالية. وما هي إلا لحظات حتى خرجت من الفيلا من دون أن يراها أحد من الخدم. لقد تأخرت إنها الثامنة. عندما كانت تركض سمعت مركباً يصطدم بالرصيف ولكن لم يكن مركب ريكو فهذا أقدم من ذاك. لكنها لم تنتبه له جيداً.. لا بد أنه يوصل الخضار.. وقفت تحت شجرة وارفة الظلال ثم ركضت ناسية المركب ومن فيه.

حينما أصبحت على الشاطىء لم تجد أثراً لريكو.. هل تأخر؟ هل وصل ثم رحل؟ هل غيّر رأيه وعدل عن المجيء؟

جلست فوق صخرة تحدق إلى البحيرة في هذا الصباح الهادىء. كم تبدو اليوم مختلفة.. لا شك أنها من أجمل بقاع الله.. ثم شاهدت مركب ريكو آتياً من زاوية مختلفة هذه المرة.

هبَّت واقفة تلوح بذراعيها، ثم صاحت وهو يتجه بالمركب إلى الشاطىء: «خلتك قد عدلت عن رأيك».

ساعدته على جره إلى خارج الماء، فاستند إلى الحصى.

بدا متوتراً وغاضباً.. كانت عيناه السوداوان تجوبان الصخور والأشجار بحثاً ثم سأل: أين أغراضك.

ـ اسمع.. لا أدري كيف أقول هذا لك.. لقد كنت في غاية اللطف معي.

ـ أنت غير راحلة.. عدلت عن الفكرة؟

حين هزت رأسها بوضوح، قهقه قهقهة مشرقة، انتهت إلى غضب.. نظر إليها وكأنه كرهها فجأة.. فقالت:

ـ ريكو.. خلتك ستشعر بالرضى..

ـ الرضى! أوَ بعد هذه المشقة وبعدما بتّ قريباً من...

وصمت يحدق إلى ما وراءها. تناهت إلى مسمعيها وقع أقدام راكضة. التفتت بعنف خائفة من هوية القادم الذي لن يكون سوى



قُيدل.. ولكنه لم يكن وحده.. تقدم قُيدل أولاً وخلفه امرأة سوداء الشعر.. ليست إيما بل رونا.. ماذا تفعل هنا بحق الله؟ وكيف عرفت؟

قالت الكونتيسة: «أشكر الله لأننا لم نتأخر!»

لكن عيني أورسولا استقرتا على زوجها.. زوجها الذي تركته في الفراش قبل نصف ساعة.. زوجها الذي كانت بين ذراعيه، طوال الليل.. ولكن، لم يكن في وجهه أثر للحب الذي أظهره.. لا قلق أو تفهم.. شاهدت الغضب، الغضب الأعمى، الذي حول وجهه إلى وجه كريه متوحش.

ـ إن لمست زوجتي قتلتك.

صاحت أورسولا عندما رأته يهجم عليه:

ـ توقف عن هذا قُيدل.. ! حباً بالله!

ولكنه لم يسمعها، وصاح به: «ماذا تفعل هنا؟»

وقالت رونا متوسلة:

ـ الذنب ذنبي.. عرفت أن لديه شخصاً آخر فقد أخبرني كل شيء ولكنني لم أحلم بأن تكون أورسولا.. لو كنت أعلم من..

وصمتت مدعية الإحباط. عمَّ تتحدث رونا بحق الله؟ أتعرف ريكو؟ ماذا قال لها؟ ولماذا؟ بدأت أورسولا تشعر بغضب جاء وليد اللعبة التي فهمتها أخيراً.

تكلم ريكو، بالإيطالية بسرعة وانفعال مشيراً إلى المركب وإلى أورسولا.. وتابع كلامه الذي لم تفهم منه شيئاً وأصبح وجه قُيدل أبيض من شدة الشحوب وكان يمسك بأنفاسه.. وهو لا يفعل هذا إلا إذا ما أخذ الغضب منه مأخذه.

جاء دور الكونتيسة التي كانت تصيح بريكو بالإيطالية أيضاً.. هل هي مؤامرة لإخراج أورسولا عن طورها؟

أخيراً صاحت أورسولا: «هلاَّ شرح لي أحدكم ما يجري؟».

سرعان ما ران صمت مطبق التفت على أثره الجميع محدقين إليها. وقال ڤيدل:

ـ سنناقش هذا الموضوع في الداخل، انتظريني في المكتبة أورسولا.

ـ لن أطيع أمرك.. هل جننتم جميعاً..؟ ريكو ليس متسللاً لأنني سمحت له بالمجيء..

نظرت إلى ڤيدل تتحداه أن ينكر سلطتها كزوجة له:

ـ.. ربما يود أحدكم شرح ما تفعله رونا على أن يكون ذلك باللغة الإنكليزية.

فتح ڤيدل فمه لينكلم ولكن الكونتيسة سبقته:

ـ كان ذلك غلطة مني.

كأنها تتوسل إلى أورسولا المسامحة، وأكملت:

ـ لم أكن أعرف أنك كنت مستوحشة إلى هذا الحد.. حاولت مصادقتك لتفضي إليّ بسرّك.. مع ذلك لم أرَ.. لم أدرك.. أنك اتخذت لنفسك عشيقاً.

صاحت أورسولا: «عشيقاً؟»

وهدر ڤيدل مرة أخرى فارتدَّ ريكو، أما أورسولا فقالت:

ـ أنت مجنونة!

اتسعت عيناها الخضراوان دهشة تنظر إلى المرأة التي تتعلق بذراع ڤيدل وكأنها تقوده إلى الظن بأنها تمسكه لئلا يرتكب هفوة فظيعة.

ـ ليس الأمر كما تتصورون. أخبرهم ريكو.

لكن معرفتها باسم الشاب زاد من غضب ڤيدل، الذي صاح:

ـ منذ متى؟ وكم مرة؟

صدرت منه الكلمات بطريقة لا واعية، ثم بدا نادماً عليها..

سألت غاضبة: «ما زلت أريد معرفة شأن رونا بهذا والغرض من



وجودها هنا».

ـ أنا هنا لأمنعك من ارتكاب غلطة فظيعة.. فأخي فعل شيئاً كهذا سابقاً. وما كان يجب أن أدعوه.. جاء إلى البحيرة فقط ليرى مركباً. هذا ما قاله لي.

قاطعتها أورسولا: «أخوك؟»

أخذت تنقل بصرها من رونا إلى ريكو، تلاحظ الشبه الواضح الذي عزته بكل غباء إلى تشابه الإيطاليين:

ـ ماذا قلت لها؟

ولم يستطع ريكو النظر إلى عيني أورسولا، ولكن ما يحدث كان كثيراً على ڤيدل الذي أفلت من قبضة الكونتيسة وأمسك أورسولا ورفعها عن الأرض:

ـ عودي إلى المنزل الآن.. سأتكلم معك فيما بعد.. ولكن أولاً أريد التعامل مع..

قاطعته رونا: «لا، لا تفعل..»

صاحت بريكو باللغة الإنكليزية ثم تحدثت إلى ڤيدل بالإنكليزية.

ـ يجب ألا تلوم أورسولا.. كان يجب أن...

ولكن أورسولا رأت وراء قولها وتصرفاتها قناعاً زائفاً.. فأدركت أن رونا هي التي خططت لكل هذا.. وأن ريكو وافق على إغواء أورسولا، أو التظاهر بأنه أغواها حتى تشتري أخته الثرية له مركب سباق جديداً.

ولكن، قبل أن تقول ما تشك فيه، دفع ڤيدل برونا بعيداً وأمسك بأورسولا مجدداً وأخذ يدفعها نحو المنزل.

كيف يجرؤ على هذا! قاومته أورسولا محاولة التخلص منه..

ثم ازداد الأمر سوءاً، فقد خرجت إيما مذعورة من غرفة الجلوس تصيح:

ـ آه، الحمد لله إنك سالمة.. وصلت امرأة وبعد وصولها سمعت صياحاً وشخصاً يقول إنك هربت بالقارب.. أنا أعرف مدى كرهك للقوارب.. وظننتك غرقت!

كانت في حالة هستيرية، تنظر إلى أورسولا وكأنها عائدة من بين الأموات.

ـ أنت لست مبتلة.. هل أنقذك أحد؟

ـ أورسولا بخير.. كما ترين. والآن هلا تركتنا؟

نظرت إلى الجميع بذهول، ثم لفت ذراعها على كتفي أورسولا وصاحت:

ـ ماذا يحدث هنا؟ أنت ترتجفين.. ماذا فعلت بها؟

قاطعتها أورسولا تحاول بعث الطمأنينة إلى قلبها: «لا شيء إيما، ما الأمر إلا خلاف عائلي».

ـ أنا من العائلة، ولن أسمح أن يعاملك..

أقلقة هي على أورسولا أم على مال أورسولا؟

قالت أورسولا: «أرجوك إيما.. لا داعي إلى هذا».

بدا أن قيدل على وشك الانفجار.. آه.. يا الله.. هذا هو ديلغي يريد معرفة من سيبقى للفطور..!

صرفه قيدل، وساد الصمت حتى رحل.. ثم ارتجت الغرفة بالحديث المرتفع.. وسألت إيما: «ماذا يجري؟ هل حاولت الهرب؟»

ـ إنها غلطتي.. أخبرهم ريكو!

زادت رونا على كل هذا: «ليتكم تحافظون على هدوئكم».

وسأل ريكو: «ماذا تريدين أن أقول؟»

ـ الحقيقة!

جعل صراخها جميع من في الغرفة يصمت.. الجميع إلا قيدل الذي بدا غير واثق بشيء حتى بنفسه.



قال ريكو وهو ينظر إلى شقيقته:

ـ ولكنني قلت الحقيقة. طلبت مني المجيء لأصطحبك من هنا هذا الصباح.. أردت أن تتركي زوجك..

أحست أورسولا بالغثيان، ومادت الغرفة بها سارعت إيما تلف ذراعيها حولها: «إن حاولت ابنتي الهرب فالسبب سوء المعاملة فمنذ وصولي عرفت أن هناك خطباً ما».

أجلست أورسولا على كرسي، ثم اتجهت إلى قيدل:

ـ أنا لست غبية.. أستطيع رؤية الأمور بوضوح.

التفتت إلى رونا، مدركة فجأة وقفتها الحميمة إلى جانب قيدل..

ثم التفتت إلى أورسولا، وقالت بوجه بشع متجهم حقود:

ـ طلقيه.. أقيمي عليه الدعوة واحصلي على حقك حتى آخر قرش.

صاح قيدل هادراً: «كفى».

ثم تقدم إلى أورسولا يرفعها عن الكرسي بشراسة ووجه الكلام إلى رونا:

ـ أبعديهما من هنا كلاهما. أبعديهما عن هذه الجزيرة قبل.. وإلاّ لست المسؤول..

كان وجهه متوحشاً، خطيراً:

ـ لكن..

من الواضح أن رونا لم تتوقع انقلاب الأحداث هكذا.

حين لم تقتنع رونا.. ترك أورسولا، وتقدم إلى عشيقته.. وكرر: «أرجوكِ ابعديهما من أجلي».

وافقت رونا مبتسمة، وقبلت خده.. فانفجرت إيما واضطرت أورسولا إلى الإشاحة بوجهها:

ـ لن تستطيع إبعادي عن هذه الجزيرة لأنني أطالب بالبقاء مع



www.elromancia.com

ابنتي.

ـ ابنة زوجك الآن زوجتي، وستفعل ما أقول أنا.. عادة يأتي الزائرون بناء على طلبي فقط، أما أنت فلم يدعك أحد.

ـ فيدل..

ـ لا تقاطعيني أورسولا.. وأنت..

استدار إلى ريكو، يسيطر على نفسه بصعوبة:

ـ ستغادر هذا المنزل الآن.. ولن تعود إليه أبداً.. أبداً.. إلا إذا رغبت..

ـ فيدلو.. كارا..

وانطلقت تكلمه بالإيطالية، تحاول تهدئته ولا شك أن خبرتها في تهدئته تعود إلى عشر سنوات. عشر سنوات. التقطت أورسولا وسادة عن الأريكة ورمته بها.

ثم انطلقت تعدو من بين الأبواب إلى الشرفة.. لأنها لم تعد تطيق ما تراه. ألم تعنِ ليلة أمس شيئاً لفيدل؟ أيمكن لفيدل أن يصدق كلمة رونا ويكذبها هي؟ عليها أن تهرب. أخذت تعدو على درج الشرفة.. ولكنها لم تصل إلى الأسفل لأن أحدهم لحق بها.

ـ دعني أذهب.. وعد إليها!

ولكن فيدل كان قد عقد ذراعه حولها وحملها عائداً إلى الداخل.

ـ يجب أن نتكلم.

ـ ليس لديّ ما أقوله لك! وإن أعدتني إلى الداخل فسأصرخ مستغيثة!

ـ إذن اصرخي.. فمن سيسمعك برأيك؟

أوصلها إلى غرفة الجلوس التي كانت فارغة الآن.. ثم اقتادها إلى مكتبه.. وركل الباب بقفله خلفه، فهربت أورسولا منه نحو النافذة.

ـ والآن سنعرف الحقيقة.



كان صوته يقطع جو الغرفة الساكن، واستدارت في الوقت المناسب فرأته يمرر يده على وجهه.. بدا مشوشاً، مخيفاً، مثقل العينين.

قالت غاضبة: «أنت تعرف كل شيء! لقد عزمت الرأي وفضّلت تصديق رونا.. حسناً.. هيا، قل ما تريد».

تقدم إلى مكتبه، يحرك الأوراق بدون أن يرى شيئاً:

ـ أنا لا أصدق أحداً.. أرى الوقائع فقط أمامي.

صاحت به: «وقائع».

لم تعد تحتمل قوته المكبوتة التي لا ترحم.. أهكذا يتعامل مع زبائنه؟ بدون شفقة أو إنسانية؟

ـ الوقائع تقول إنك رأيتني على الشاطىء أكلم ريكو..

التفت إليها والغضب يظلم وجهه:

ـ لا تذكري هذا الاسم! أتريدين القول إنها كانت صدفة؟

ابتلعت أورسولا ريقها، ومسحت كفيها بسروالها: «ليس بالضبط».

ـ ألم ترتبي لقاءك بذلك الرجل!

ـ تقريباً.

ـ ما تعنين بقولك؟

ـ لم يكن الأمر كما تظن.

ـ وماذا أظن؟

كان صوته غريباً لم تتعرف إليه فكافحت تقول: «أردت إبلاغه رسالة».

ـ كم مرة التقيتما قبل اليوم؟

هزت كتفيها:

ـ لا أدري.. عدة مرات. لم أخطط لشيء. وجدته هناك يوماً.



www.elromancia.com

وجدته هناك يوماً! يا إلهي ما أغباها فكيف لم تشك في دوافعه.

ـ أولم تفكري في تحذيره بأن هذه الأملاك خاصة؟

ـ إنه يعرف ذلك لأنه شقيق عشيقتك التي كانت تمنحه حق الدخول.

لم يعجبه قولها، ولكنه رد بقسوة:

ـ ما هي الرسالة التي كنت تريدين إيصالها إليه؟

ابتعدت عنه تذرع الغرفة. «أنا...»

صاح مقاطعاً بلهجة ثقيلة حادة ولكنة مكسّرة: «الحقيقة».

ـ أردت أن أبلّغه أنني غيرت رأيي..

وبدلاً من أن تطرق برأسها رفعت رأسها إليه بكبرياء وتحدي..

ـ إذن، لقد خططت للهرب معه..

ـ لا.. أجل، لكن لا..

ربما لو قالت له إنها غارت من رونا، لفهم.. ارتد عنها وظهره متصلب من شدة الغضب:

ـ لقد سمعت ما يكفي.

ثم، لم يعد يحتمل فتوجه إليها. كانت تستند إلى المكتب لتدعم نفسها فهي واثقة من أنه يهم بضربها ولكن قبضته هوت على المكتب بضربة ساحقة. وصاح مزمجراً:

ـ لماذا؟ أعني.. لماذا غيرت رأيك؟

نظرت أورسولا إليه، وهي تطيل النظر.. تريد منه أن يفهم وأن يعرف كم تحبه، ولكنها متأكدة بأنه يعرف كم تحبه..

غير أنه تراجع ضاحكاً، ينظر إلى السقف مخللاً أصابعه بعنف في شعره المشعث.

ـ الآن فهمت طبعاً.

كان يضحك من نفسه، ومع ذلك بدت المرارة في صوته والازدراء



في عينيه:

ـ لم يصب توقيتك الهدف.. لقد تزوجتني من أجل المال.. ولكن، هل وجدت إيما أنها لم تنل نصيبها؟

نظرت إليه فاغرة فاها، شاحبة الوجه وسمعته يكمل الإهانة.

ـ أنا لا أنذمر.. فأنا مستعد لدفع الكثير لأحصل على امرأة مثلك في فراشي. لديك سحر كبير أورسولا.. أظنه براءة ممزوجة بمعرفة غريزية بما يرضي الرجال.. ويا له من سحر!

أمسك ذقنها يجبر وجهها على الارتفاع إليه:

ـ ولكن النساء اللاتي يتزوجن طمعاً بالمال يملكن هذه المواهب عزيزتي. أخبريني عزيزتي من علمك لأشكره.

صدمها قوله فاشتعل كيانها كله غضباً ثم صاحت به:

ـ أنا مسرورة لأنك أدركت أن هناك فرقاً بين الزواج طمعاً بالمال وبين رفض الزواج طمعاً بالمال!

أمسكت بشيء زجاجي كان على المكتب ثم رمته به.

لم تعرف كيف أخطأته فقد صدم ذاك الشيء الباب الخشبي فأزال عنه الطلاء، ثم انكسر مدوياً على السجادة السميكة. شحب وجه قيدل وتشنجت عضلات وجهه ثم ران صمت ثقيل كاد يخنقها.

ـ عندما تستطيعين السيطرة على نفسك بوقار يليق بزوجتي فسأناقش هذا الموضوع مرة أخرى.. وحتى ذلك الوقت أقترح عليك البقاء وحدك.

اتجه إلى الباب فالتقط الثقل الزجاجي، لكنه تردد:

ـ سأتأكد من رحيل دوريانو وزوجة أبيك حالاً.. قد تحتاج رونا إلى مساعدة.. بإمكانك الاتصال بإيما في وقت ما واعلمي أنني سأعطيك المال الذي تحتاجينه.. وبإمكانك فعل ما شئت به.. ولكنك لن تري ذلك الرجل مرة أخرى.. وأقترح عليك الابتعاد عن

الطريق حتى يغادر الجميع.

نظر إلى الثقل الزجاجي، ثم حمله إليها:

ـ خذي هذا.. وارميه مجدداً إذا كان سيساعدك رميه.

وخرج.. فأطبقت أصابعها على سطح الزجاج الناعم وضربت قبضتها على الطاولة بغضب مجنون يائس.

سمعت أصواتاً في الخارج ووقع أقدام وصياحاً وجدالاً. توجهت أورسولا نحو النافذة تصم أذنيها بيديها. رمت الثقل الزجاجي على مقعد ناعم.. اللعنة على هذا الرجل! لماذا وقعت في حب مثل هذا الجلف الخالي من المشاعر؟

فيما كانت تذرع المكتبة بدأ المنزل يسكن تدريجياً. ثم سمعت صوت المركب. ماذا سيقول الخدم الآن؟ عرفت بكل بساطة أنها لن تستطيع العيش هنا بعد اليوم.. ليس بسبب ما قد يظنه الخدم.. بل لأنها تعرف أن آخر ما لدى ڤيدل من مشاعر قد ولّى إلى الأبد.

استقرت عيناها المرهقتان على لوحات أمها. فتذكرت أن ڤيدل قادر بنفوذه على إيجادها حيثما حلّت. ولكن ربما تسعى رونا إلى التلاعب به فيفقد حتى الرغبة في استعادة أورسولا.. وربما رغب فيها فقط إذا عرف بأمر الطفل.

ولهذا عليها ألا تخبره كما عليها بطريقة ما أن ترحل قبل أن تضعف مرة أخرى..

كيف يمكنها أن تهرب؟ سقيفة المراكب مليئة بالقوارب.. ولكن المسؤولين هناك سيحولون دون رحيلها.

كان النسيم قد بدأ يهب.. كانت بعض المراكب الشراعية تبحر مسرعة.. ثم تذكرت أن مركب ريكو ما يزال على الشاطىء.

* * *



## ١٢ ـ العاصفة تهب مرتين

مركب ريكو! ترى أما زال على الشاطىء؟ عرفت أورسولا أن بالها لن يستريح حتى تعرف. البيت هادىء الآن، فهل تجرؤ على النزول إلى الشاطىء لإلقاء نظرة؟ تطلعت بحذر إلى خارج باب المكتبة.. الممر خال. أسرعت إلى الباب الجانبي.. وتسللت إلى الخارج تسعى إلى الطريق الوعرة المنحدرة نحو الخمائل الوارفة الظلال.. راحت تشق طريقها بصعوبة بين الأشواك والعشب المرتفع حتى وجدت الطريق الذي تسلكه عادة إلى الشاطىء.

كان المركب هناك ولكن ماذا إن تذكر ڤيدل وجوده فسعى يزيله من مكانه؟ هذه مخاطرة عليها المخاطرة بها. فلن تجرؤ على الرحيل قبل المساء.. إن حبست نفسها في غرفتها وظلت فيها فقد ينسى المركب. أرجوك يا الله، دعه ينسى كيف وصل ريكو إلى هنا.

من حسن حظها أن الخطة نجحت فقد ظلّ ڤيدل بعيداً عنها طوال اليوم معتقداً أنها في غرفتها آمنة.. مر اليوم بطيئاً. إنه يومها الأخير في هذا المكان والجو فيه ملبد ممطر. أخيراً حلت الساعة الثامنة فقررت أنه حان أوان الرحيل. ألقت نظرة شاملة متحققة من جواز سفرها ومن بطاقات الاعتماد ودفتر الشيكات أما الكيسان فكانا معدين منذ الأمس. سحبت نفساً عميقاً لتبعد عن نفسها الغثيان، وفيما كانت واقفة في الغرفة لمحت نفسها فجأة في المرآة فإذا بها لا ترى أورسولا

زاراكوتشي التي تعرفها بل تلميذة ترتدي جينز وقميصاً.

تسللت بحذر إلى الخارج تجر الكيسين خلفها. أقفلت الباب وراءها ثم وضعت المفتاح في جيبها وكانت قد تركت الراديو يصدح والنور مضاءً في غرفتها.

توسلت إلى الله ألا يكتشف أحد هروبها. كان وجهها متجهماً ولكنها نهرت نفسها بسبب استيائها، فمن الآن وصاعداً لن تسمح لأي رجل بأن يمتلكها.

نسيت المشعل اليدوي.. اللعنة! لكنها تمكنت من النزول على الصخور ثم تعثرت في الممر، وأخيراً وصلت إلى الشاطىء.

ما زال المركب هناك.. لم يكتشفه أحد.. وقفت تحدق إليه وهي تشعر بالغثيان ثانية.. ستحتاج إلى قوة كبيرة لتحركه. نزلت أورسولا في الماء ثم رمت الكيسين إلى المركب، وبعد ذلك رفعت الجينز وطفقت تحرك الشراع وبدأت تدفع المركب إلى الخارج.

صعب عليها تحريكه ولكنه أخيراً طفا فوق الماء.

فكرت لبرهة كيف يُشغل ثم لم تلبث أن أسرعت إلى الشراع الرئيسي الذي كان منسلاً. عرفت أن عليها شده من تلك الحلقة لتحملها الريح. وجذبت الشراع ثم ربطته في الحلقة ولكنها لم تجد ذراع الدفة.. لماذا تركتها حتى حل الظلام هكذا؟ لا.. ها هي.. ولكنها كانت في الناحية الأخرى.. جذبت الدفة فتحرك المركب وخرج من الجون الصغير.. ولكنها انتبهت إلى أن الريح توجه المركب إلى الجهة المعاكسة وهذا يعني أن المركب سيصطدم بالصخور.

سارعت أورسولا إلى تصحيح الوضع فأعادت ترتيب كل شيء خافقة القلب مرتجفة اليدين. إنها الآن تحمد الله.. لأن ريكو اصطحبها بتلك الرحلة التي تعلمت فيها كيفية تشغيل المركب. تحرك المركب الآن ببطء لأنها لم تشد الشراع بحيث يجري مع الريح فهي لن



تخاطر بأن يسير المركب بسرعة نحو الشاطىء خاصة وأن أمواج البحيرة بدأت ترتفع.

كان كل ما يحيط بها كابوساً غير أنها استطاعت الجلوس عند الدفة وإحدى يديها على الذراع أما الأخرى فأمسكت بالشراع استعداداً لشده من الحلقة إذا ما هددت الريح المركب. ألقت نظرة أخيرة على الفيلا فترقرقت عيناها بالدمع.

كم من الوقت مضى عليها وهي هنا فوق المياه؟ إنها ترى الآن أنوار بلدة مونتي فيرنو ولكن أتتوهم ما تراه أم أن السحب المنخفضة تتلاعب ببصرها؟

بعد نصف ساعة أخرى عرفت أنها غير واهمة فالمطر عاد إلى الانهمار وبدأت الأنوار تتباعد وهذا يعني أن الريح تبعدها عن هدفها. إن أرادت السير إلى الأمام فعليها أن تفتح الشراع وتشده من خلال البكرات الخاصة به.

مضى الليل وكأنه لن ينتهي وراحت الريح ترسل نفحاتها الشيطانية نحو الأنوار. وأخذ المركب ينحرف عن وجهته عائداً بها إلى نقطة البداية ثم امتلأ قعر المركب بالمياه وتجمدت قدماها وكانت كلما حاولت تغيير مكانها تقع وتؤذي قدميها. ولكن المركب لم يصطدم ويتحطم بل انطلق بها..

مضى الليل ووجدت أنها لا تعرف موقعها من جزيرة ڤيدل.. إنها متعبة وعاجزة فالأمواج تزداد سوءاً، غير أنها من حسن الحظ وجدت دلواً بلاستيكياً قديماً سيساعدها على إفراغ الماء من المركب.. ولكنها تأخرت على تصحيح الوضع فقد ازدادت الأمور سوءاً بحيث عاد لا ينفع شيء مع هذه المياه المنهمرة بغزارة.

لم تنفك الريح عن الهبوب ولم يتوقف المطر. كان الشراع همها الرئيسي، فقد ظل مرفرفاً حيناً وملتوياً آخر. فجأة أدركت أن عليها

إنزال الشراع قبل أن ينقلب المركب رأساً على عقب. شعرت بالغثيان مرة أخرى ولكنها مضطرة إلى إنزال الشراع فكان أن شقت طريقها إلى الأمام، تاركة ذراع الدفة، ثم جثمت على ركبتيها حتى لا يرميها الشراع إلى الماء إذا ما تحرّك من مكانه.

أخيراً وجدت الحبل المربوط في أسفل الصاري. كانت أصابعها باردة متشنجة فكت الحبل تحاول إنزال الشراع ببطء ولكنه هبط بسرعة وقوة حتى كاد يقع في الماء. عندها أيقنت أنه سيقلب المركب فسارعت تشده إلى الداخل مذعورة.. بعدما سحبت الشراع إلى الداخل تناولت المجذافين وبدأت التجذيف.

ولكن ذلك لم يُجدِ نفعاً. إنها لا تستطيع رؤية الجبال أو الأنوار ولا تسمع إلا رنين المعدن الذي لا ينقطع، رنين بكرات الحبال وهي تضرب السارية المعدنية.. انسلت الدفة ودارت بجنون من جهة إلى أخرى وانسلّ أيضاً الحبل المربوط إلى الذراع. لقد اسودَّ كل ما حولها وشرعت المياه السوداء تصفق وجهها.

راحت تفرغ الماء من جديد. ترى كم من الوقت ستصمد فالمركب يوشك في أية لحظة على الاصطدام بالصخور وعندها ستهوي هي والمركب إلى البحيرة العميقة الغور. غضبت لعجزها عن التعامل مع الواقع وغضبت على نفسها بسبب ضعفها. لماذا على المناخ أن يكون شنيعاً هكذا؟ ثم بدأت تشعر بالخوف يجتاح قلبها.. الخوف الحقيقي.. وكان هذا قبل أن يصدمها نور ساطع.

تلاشى ذعرها في ثوان. فرفعت ذراعيها لتتقي النور ولكنها سمعت رغم وقع المطر وزمجرة الريح صوت هدير محرك ثقيل.. وسمعت من ينادي باسمها.. ثم شاهدت مركباً كبيراً إلى جانبها وشخصاً يصيح بها أن تلتقط الحبل.. إنه قُيدل..

رفعها بطريقة ما من المركب الصغير.. فاصطدم المركبان،



وخشيت أن يبتعد مركبها.. فوقفت تتمسك بالصاري. مال قُيدل فوق سياج مركبه وهو يمسك معصمها: «اتركيه، اتركي الصاري».

إن تركته قد تنزلق من قبضته.

صرخ بها ثانية: «اتركيه».

وكان في صوته مزيج من الغضب والسلطة.. في الواقع لم يكن لديها خيار آخر.

ثم ارتفعت إلى الأعلى بمعصميها ومن ثم بذراعيها، أخيراً عقد قُيدل ذراعه حول خصرها.. فتمسكت به وأصبح كل شيء على ما يرام.. إنها سالمة وهي تتمسك به. الآن لا يهمها شيء سوى وجودها بين ذراعي قُيدل. لقد اعتقدت أنها لن تراه مرة أخرى.. شدت قبضتها عليه بعدما ماد سطح المركب تحت قدميها، وأخذ يملس شعرها متمتماً بكلمات لم تكن تسمعها، ثم تعاظم صوت المحرك الذي شغله أحدهم.

ـ هيا بنا إلى الأسفل.

اقتادها قُيدل إلى القمرة في الأسفل.. أخيراً أدركت أنها على متن مركبه الكبير الذي يبلغ طوله أربعين قدماً. غطاها ببطانية ثم تهاوت وغاصت في مقعد مرتجفة تمسح وجهها بيدين مبتلتين.. ثم أحست أنه دفع في يدها فنجاناً ساخناً.. إنه الشاي.. وهي لا تحب الشاي بدون حليب.

ـ اشربيه!

رفعت رأسها تنظر إلى الوجه القوي، الصارم الغامض وكرّر: «اشربي».

ارتشفت السائل الساخن الشديد الحلاوة ولكنها شعرت بأن التوتر بدأ يشحن المقطورة فبعد ذاك الخوف الذي شعر به قُيدل بدأ غضبه يظهر بوضوح.

- لماذا؟ كدت تقتلين نفسك! فأنت لا تجيدين السباحة. البحيرة خطرة حتى في الجو الهادىء. قلت للجميع إن عليك البقاء بمفردك. كدت أفقد صوابي!

ثم اندفع في سيل من الكلام الذي بدا مختلطاً بين الإيطالية والألمانية.. كانت عيناه قاسيتين ومسيطرتين. وكان صوته غاضباً، أجش منفعلاً. انحنى جسمه كله بطريقة عدائية، وكأنه عند أول حركة تبدر من أورسولا سيكون مستعداً للانقضاض عليها.

ردت بصوت مرتجف: «ما عرفت أن الجو سينقلب بهذا الشكل».

تغير وجه ڤيدل، وكأن غضبه ارتد إلى أعماقه. تناول منها فنجانها الفارغ ووضعه على الأرض، ثم شدها إليه في عناق شرس، تاركاً لها المجال فقط لتتعلق به، ولتدفن وجهها في صدره.. ظلا هكذا حتى وصلا إلى المنزل.

كان كل شيء مشوشاً، ومؤلماً. حملها ڤيدل إلى البر.. رأت أورسولا ديلغي وزوجته يسرعان إليهما فشعرت بخجل شديد.. ولكن سرعان ما نُقلت إلى غرفتها وهناك استحوذ عليها الرعب فقد رأت قفل الباب محطماً. نظرت إلى ڤيدل ولكنه لم يقل شيئاً بل بدا وجهه متجهماً..

- يجب أن تخلعي هذه الملابس المبللة ثم عليك الاستحمام.

- أستطيع تدبير...

ولكنه لم يرد عليها، بل فتح البطانية التي تدثرها وساعدها في خلع ملابسها المبللة، ثم حملها إلى الحمام حيث تركها ليحضر لها المناشف.

سمعت أثناء غيابه رنين الهاتف في غرفته، فرد على الاتصال بكلمة «نعم» بسيطة ثم «لا» ثم عاد إلى الحمام فوجدها تجفف نفسها بمنشفة كانت هناك.. أحست بعذاب ممزوج بالفرح والألم.. عندما



راحت يداه تجففان ذراعيها وظهرها شعرت بجسمها يتجاوب للمساته أما هو فظلَّ بارداً متحفظاً، متوتراً.. وكأنها ليست سوى كلب صغير يثير الشفقة.

حاولت أن تقول: «لا حاجة إلي...»

تركها ليحضر لها روباً دافئاً.. أخيراً ارتدت ما هو محتشم وخرجت إلى غرفتها تفرك شعرها بمنشفة صغيرة.

كان ڤيدل يجلس على كرسي ينتظر وصولها.. فأشار إلى كوب من الكاكاو الساخن وبعض البسكويت فلم تُبد دهشة. من الغريب كيف يعتاد المرء بسرعة على اهتمام الخدم به. ولكن هذا ليس عالمها.. إنها لا تنتمي إليه.. عندما راحت تحتسي الشراب الساخن التقط ڤيدل المنشفة التي تركتها ليفرك بها شعره المبلل فلاحظت للمرة الأولى أن منظره رهيب. كان السروال الجينز ضيقاً ورثاً، وكان إلى ذلك حافي القدمين وكأنه لم يجد وقتاً لانتعال شيء. رمى المنشفة ثم نظر إليها عندها وجدت أن وجهه هو الذي يعاني حقاً.. الآن وتحت ضوء المصباح رأت حول عينيه الدوائر السوداء الثقيلة كما رأت خطوط وجه المتوترة الضيقة.

لا، ليس عليها التفكير هكذا. نعم لقد أنقذها اليوم غير أن هذا لا يغير في الواقع شيئاً، فهو ما زال يقف حيث هو منتظراً منها البدء بالحديث.. ارتشفت قليلاً من الشراب ووضعت الكوب على طاولة الزينة.. ثم قالت: «أعتقد أنك تنتظر تفسيراً».

قال بكبرياء وبرودة.

- ليس التفسير ضرورياً.. فمن الواضح أنك كنت تنوين الحفاظ على اتفاقك مع دوريانو مهما كلف الثمن.

قطع الغرفة بسرعة.. والغضب يومض في عينيه متصوراً خيانتها. في تينك العينين كلام يقول: «أنت زوجتي ولن أدعك تهجرينني من

أجل رجل آخر. سأحجزك هنا ولو عنوة» نعم هو لم يقل هذه الكلمات ولكنها شعرت بها. كان جسده كله ينتفض بغضب لم يحاول إخفاءه..

قالت وألم الغضب واليأس الفظيع يفور من داخلها:

ـ هيا.. قلها! لكنك لن تستطيع احتجازي إلى الأبد.. سأتمكن يوماً ما من الفرار و..

صمتت فجأة، لأنها وجدت في عينيه حزناً فظيعاً. سأل بلكنته المكسرة: «ماذا يفعل أحدنا بالآخر؟»

ثم أغمض عينيه وارتد عنها..

ـ ماذا بإمكان ريكو دوريانو أن يقدمه لك وأعجز أنا عن تقديمه؟

ارتبكت أورسولا وعضت على شفتها ثم سرعان ما طغى غضب يائس على مشاعرها بسبب سوء ظنه بها.

فقالت: «سأذكر أمامك ما قد يقدمه لي».

التفت إليها فأردفت: «سيقدّم لي حريتي».

ـ حريتك؟!

فكر ڤيدل في الكلمة وكأنه نسي كل ما يعرفه من الإنكليزية.

ـ خلتك التزمت معي.

جاء دور أورسولا لتشيح بوجهها الذي أثقلته فجأة الدموع المهددة بالانهمار. همست مترنحة: «نخطىء جميعاً».

ـ آه.. ربما هكذا.

ـ أهذا كل ما تستطيع قوله.. تزوجتني بكل بساطة لتنجب وريثاً وكنت قبل ذلك قد قررت الاستمرار في علاقتك الغرامية مع رونا دوراليس.. ثم ها أنت تقول ربما تكون غلطة!

ـ وما هو أسوأ من خداعك.. لقد تزوجتني طمعاً بالمال والمركز ثم أوقعت دوريانو الشاب في شراكك؟



ـ أوقعت دوريانو الشاب في شراكي؟ إذن الطيور على أشكالها تقع.

عبس ڤيدل لسماعه المثل العامي الشائع. ولكنه فهم معناه.

ـ أنت مخطئة، فأنا لم..

ثم صمت لأنه سمع طرقة على الباب.. فأخذ يتمتم شاتماً وذهب ليرد.. ثم عاد ومعه كيسان من النايلون:

ـ ظنوا أنك قد تقلقين على هذا.. وهذان كل ما وجدوه.

سخرت منه: «وهذان كل ما أخذته».

تلاقت عيونهما، ثم بدا أن الكيسين أثارا اهتمامه:

ـ هكذا إذن.. أنت لا تأخذين الكثير أثناء سعيك إلى الحرية.

ـ لأنني لا أحتاج إلى الكثير.

لم يرد وظلّ ممسكاً بالكيسين المبللين وبدا حائراً أين يضعهما.. أرادت أورسولا أن تنتزعهما منه ولكن الحذر أبقاها جامدة.

أخيراً قال لها: «أنا مستعد لنسيان أمر دوريانو».

وكأنما ما يقوله يكلفه الكثير غير أنه لم ينظر إليها، بل أبقى عينيه على الكيسين. وكادت تعرف ما يجول في تفكيره. إنه يتساءل عما فيهما من أغراض تعتبرها ذات أهمية.

قالت ساخرة، والذعر يوتر أعصابها: «إن نسيان أمر ريكو لكرم كبير».

أخيراً انتزع عينيه عن الكيسين وقال بهدوء:

ـ ظننت في البدء أنني لن أستطيع.. هذا الصباح، وصباح الأمس، ظننت أنني سأقتله.. وظننت أن كل شيء انتهى.. ولكن حين اكتشفت غيابك.

التفت إلى الباب المكسور وأكمل:

ـ حين أدركنا جميعاً ماذا فعلت.. وبعدما عرفنا أنك غير موجودة

قرب البحيرة عرفت أنني أريدك مهما كانت الظروف.

شهقت وهي لا تعرف كيف تتقبل كلامه.. ماذا يعرض عليها؟ الحب؟ أم العودة إلى لعب الدور الثاني في حياته؟ آه إن هذا لغير عادل! ولكن.. ماذا عن الطفل..؟

ضمّت شفتها السفلى، تتلاعب لكسب الوقت، غير واثقة مما تفعل: «وتتوقع مني.. أن أنسى أمرها؟»

بدا لها غريباً وهو يقول: «أتستطيعين ذلك؟»

أدارت وجهها مجدداً: «لا أدري».

رباه! ألا يدري أنها مستعدة لمغفرة كل شيء يتعلق به؟ ثم، شاهدته في مرآة طاولة الزينة، ينظر إلى الكيسين بعبوس. ولم يلبث أن وضع أحدهما على الأرض ثم بدأ بفتح الآخر. آه، لا!

هبت كالريح من مكانها ووصلت إليه.

ـ أعطني هذا.. لا يحق لك أن تنظر إليه.. إنها أغراضي!

لكنها وصلت متأخرة.. كان ڤيدل قد أفرغ محتويات الكيس على السرير.. آه! لماذا اختار هذا الكيس؟ حاولت أورسولا إخفاء كل شيء بتجميعها في كومة:

ـ ابتعد! ما كان يجب أن تفعل هذا! إنها أغراض خاصة!

ثم شهقت منتحبة وقد عجزت عن إخفاء كل شيء بعدما أمسك يديها. نظر إلى بضعة قمصان وكنزات وإلى الأشياء الصغيرة الأخرى.. أخذ ڤيدل وهو عابس الجبين يعبث في كنزها الثمين، صاحت باكية تتلوى محاولة تخليص يديها من قبضته:

ـ توقف.. ليس عليك ذلك!

وكان كل ما استطاعت فعله هو مراقبة الذهول الذي لم يلبث أن أصبح عدم تصديق. ها هو كل شيء أمامه! بطاقات المسارح.. برامج المسرحيات والحفلات الموسيقية التي حضراها. ولائحة طعام مقهى



صغير في باريس كانا قد ذهبا إليه قبل زفافهما بليلة.. وبطاقة رحلة المركب في «السين» والصور والزهرة البرية التي التقطها لها حين تسلقا إلى القلعة المدمرة في «الأندليس».. رسائله التي أرسلها إليها وهي في باريس. وبطاقات بريدية أيضاً.. لقد كان في هذا الكيس كل ذكرى ثمينة مهما كانت صغيرة لأنها ما تبقى لها..

تمتم بذهول: «لا أفهم ما يعني هذا أورسولا؟»

انسلت من قبضته، وبدأت تلملم ما كان يضمه الكيس تدمدم: «ما دمت لا تعرف فلماذا أشرح».

أوقفتها يداه بحزم ثم ومضت عيناه.

ـ أخبريني.. أريد سماعها منك.

أخيراً بدأ حبها يخنقها، فانهارت تتعلق به وعندما تكلمت كانت كلماتها ضعيفة بحيث لم تتجاوز صدره.

أبعدها عنه: «كرري ذلك مرة أخرى».

تنشقت أورسولا من أنفها ونظرت إليه: «قلت إنني أحبك».

أغمض عينيه ثم سحب نفساً عميقاً.. فقالت:

ـ والآن.. أظنك راضياً عن نفسك..

لكنها لم تستطع قول المزيد فقد أعاد وجهها إلى صدره يضمها ويضمها، ثم حملها إلى الجهة الفارغة من السرير. ماذا تفعل؟ أنت مجنون.. أنت لا تحبني.

لكنه كان يحجزها بين ذراعيه.

همس: «أنت لم تقيمي علاقة مع شقيق رونا.. أليس كذلك؟ أجيبي.. أليس كذلك؟»

هزت رأسها نفياً، فأكمل:

ـ إذن.. لماذا كنت ستذهبين برفقته؟ لماذا أردت الهرب؟

ـ لم أكن..

ـ ولمَ لا أصدقها؟ الأمر منطقي فنحن تقريباً لم نتعارف إلا لوقت وجيز..

صمتت، فضغط على يدها: «أكملي».

ـ أليست هي جزء من هذا كله؟

اضطجع على جنبه ينظر إليها مستنداً إلى مرفقه:

ـ جزء مماذا؟

ـ حسناً.. إنها.. معتادة على هذا النوع من الحياة.. إنها من طبقتك.. أنا ما كنت لأقدر وحدي على تنظيم تلك الحفلة.

ـ إذن.. لماذا أزعجت نفسك بها؟

ـ لأنها جزء من تقاليد عائلتك.

بدت عليه الحيرة: «ولكنني لم أتوقعها فكرت في إقامة حفلة في عيد الميلاد ورأس السنة».

تنهدت أورسولا: «ليتك أخبرتني بنيتك تلك!»

ـ لم تسأليني.

ـ لا.. لم أسألك.

ـ أما زلت تعتقدين أنني عدت إلى علاقتي مع رونا؟

ـ كنت تقبلها ساعة الألعاب النارية..

هز رأسه: «هي من قبلتني وهذا يشكل فرقاً كبيراً».

ـ لكنك ذهبت لرؤيتها في روما بعد خطوبتنا.

ـ يحق لها أن تعرف. فالسنوات العشر زمن طويل حبيبتي. وما كنت لأتركها تعرف من أحد سواي.

لمست ذقنه الخشن: «لا.. لكنها بقيت دائماً هنا.. حولك، ولم تمانع».

ـ ظننتها تساعدك.. وبدوت لي مستمتعة بصحبتها.

ابتسم حائراً:



وصمتت، فأبعد خصلة مبللة بالدموع إلى الوراء وقال بخشونة:

ـ يبدو أنني أنزلت بك تعاسة جمة.

شاهدت تحت نور المصباح القابع في الجهة الأخرى من السرير عينيه المغرورقتين بعذاب سريّ.

لم تعرف للحظات ما تقول.. تعسة؟ آه.. أجل.. لكن وكيف ستخبره بالفرح الخاص؟ عندما طال صمتها، ابتعد عنها قليلاً يمرر يده على بشرتها الدافئة.. وقال وهو يدفن وجهه في نعومة شعرها:

ـ أليس علينا العمل على إنجاح زواجنا لراحة بالنا.. ولسلامة عقلينا. ما دمت تحبينني فأين المشكلة؟

استمر في مداعبتها ولكنه فجأة أغمض عينيه، فالخيالات غير المرغوب فيها لم تبتعد حتى الآن:

ـ لكن.. لماذا قال دوريانو إنك تهربين معه؟

نظرت إليه أورسولا، وردت بصوت هادىء: «لم يقل إننا سنهرب».

ضحك ضحكة استغراب غريبة.. وكان على وشك ألا يوافقها الرأي.. ثم عبس فعرفت أنه يتذكر ذلك المنظر الرهيب على الشاطىء عندما صاحت رونا: «إنها غلطتي.. الحمد لله أننا وصلنا في الوقت المناسب!»

جمد فيدل.. وشاهدت الشك، وعدم التصديق، والغضب تتقاطع في وجهه.. ثم ابتعد عنها مستلقياً على ظهره ينظر إلى السقف.

ـ ماذا كانت تقول لك رونا؟

قالت أورسولا: «رونا لا تقول بل توحي وتقترح.. لقد أوحت إليّ أنكما خططتما.. خططتما لتتزوج أية امرأة كانت. كما قالت صراحةً بأنك تنوي العودة إليها بعد أشهر».

ـ وأنت صدقتها؟

- أترين، ظننتك تتصرفين بحكمة مع ماضيّ كما خلتك تعرفين أن حبنا أقوى من أي ريح.

- أهكذا كنت تشعر؟

- طبعاً.. أترين.. ظننتك تكيفت مع حياتي ومع ديلغي وزوجته ومع عاملات المطبخ.

- بمناسبة الكلام عن المطبخ هل نزلت إليه مؤخراً؟

- لا.. لا أظنني فعلت.

- هذا ما ظننته.. ڤيدل.. إنه مكان حار جداً.. والخدم هناك بحاجة إلى مكيّف..

صمتت لأنه راح يقهقه:

- وتقولين إنك لم تتكيفي..؟ حبيبتي.. إذا كنت تقولين إنهم بحاجة إلى مكيف فهذا ما سيحصلون عليه، شرط أن تبقي هنا للإشراف على العمل.

همست: «أحب البقاء مدة أطول».

- أنت رائعة.. لم أحب امرأة كما أحبك.

وانحنى يعانقها مجدداً. وكان كل ما ردت عليه: «آه!»

ولكن كان في أعماقها فيض من أمل وحب وفرح.. ثم عاد ليستلقي على ظهره:

- أترين.. حدث كل هذا في باريس.. هل أخبرتك يوماً عما جرى في باريس؟

شعَّ حبها في عينيها وهي تهم بالكلام.. ولكنه أسكتها بإصبعه:

- التقيت هناك بتلك الطالبة، بتلك الرسامة المجنونة. كانت ترتدي جينزاً ضيقاً ومعطفاً قذراً خاصاً بالرسم أما شعرها فكان أشقر ولكنه أقصر من شعرك بقليل. وفي أحد الأيام ابتسمت لي في المقهى ووقعت في حبها.. وكنت مذهولاً ذهولاً جعلني أضع ثلاث ملاعق من



السكر في فنجان قهوتي التي عجزت عن احتسائها.. ما بالك حبيبتي؟ لماذا تضحكين؟

- آه لا يهم..

تذكرت أن حادثة السكر نفسها هي التي جعلتها تقع في حبه.. لكنها لن تخبره الآن.

- أنت مجنون لأنك وقعت في حب نكرة صغيرة مثلي.. انظر إلى المشاكل التي سببتها لك.

رد بكلمات جادة:

- لا تقولي هذا أبداً.. ولكنني كنت أسوأ من مجنون، لأنني نسيت كم أنت صغيرة.. كانت غلطة مني أن أتوقع تقبلك لرونا.. صدقيني حبيبتي، لم أكن أعرف ما كنت تفعل بك.

فجأة، صارت الكونتيسة الكبيرة غير مهمة لأن ڤيدل لا يحب سواها.

- دعنا لا نتكلم عنها.

فجأة تذكرت زوجة أبيها.. فقالت:

- لم أعط إيما المال لأنني لم أجد ذلك مناسباً.

مسّد شعرها: «سنتكلم عنها لاحقاً، ربما نستطيع القيام بشيء ما من أجلها».

عندما تسلل نور الصباح الرمادي الضبابي من خلال الستائر استلقيا بهدوء. أورسولا نائمة على كتفه وهو يمسّد شعرها متعباً تعباً جعله لا يقوى على تغيير ملابسه لينام. شعرت بأنها تتآلف مع بيت غامر وإحساس بالانتماء إلى هذه العائلة.. عائلة! آه!

- ڤيدل!

- نعم صغيرتي..؟

ابتعدت عن ذراعيه.. لقد اقتربت اللحظة.. وأحست بانحباس

أنفاسها وتوترها: أرجوك يا الله، دعه يتقبل هذا.. دع هذا يظهر في عينيه..

ـ أورسولا.. ما بك؟

فجأة التقط الإثارة منها وقال بلكنته المثيرة:

ـ عم تحاولين محادثتي؟ عن رسمك؟ أتريدين متابعة الدرس؟ لقد اهتممت بهذا. وجدت لك فناناً في ميلانو.. وبإمكاننا البقاء يوماً في الأسبوع معاً هناك.. إنه ممتاز.. وستحبين حضور دروسه..

قاطعته لتزف إليه الخبر:

ـ لا.. ليس الآن..

حين بدت عليه الدهشة، ابتسمت له بخجل وإشراق وقالت:

ـ على الدروس أن تنتظر فترة.. لأنني.. أنا.. أظن.. أن لدي ما أخبرك به..

* * *

www.elromancia.com